بدايات علم الكلام في الإسلام

رسالتان في الرّدّ على القدريّة من القرن الأول للهجرة
للحسن بن محمّد بن الحنفيّة والخليفة عمر بن عبد العزيز
مع مُلحق في اخبار غيلان الدمشقي

حقّقها وترجمها وعلّق عليها
يوسف فان إس

بيروت ١٩٧٧
يُطلب من دار النشر فرانتس شتايز بڤيسبادن

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

المعهد الألماني للابحاث الشرقيّة
بيروت ، لبنان - ص.ب: ٢٩٨٨

طبع على نفقة وزارة الابحاث العلميّة
والتكنولوجيّة التابعة لألمانيا الاتحاديّة
في المطبعة الكاثوليكية ببيروت

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

بدايات علم الكلام في الإسلام

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

قطع من رسالة الحسن بن محمد بن الحنفية
في الرد على القدرية

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الرموز

آ = ميلانو ، أمبروزيانا E ٤١٣ .
ص = صنعاء ، المتوكّلية ، كلام ٣٩ .
م = مونيخ ، كلازر ٤٣ .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

١

مخطوطة مونيخ (Glaser) ٤٣ : ٢ ب ١٠ الخ

[فكان أوّل ما سأل عنه أن قال :] أخبِرونا عن قولكم فيما نسألكم عنه ! نبِّئونا هل الأنبياء صلوات الله عليهم مستطيعون لعمل فِعلَين متضادّين في حالَين مختلفين ؟

٢

٢ أ ٢٢ الخ

أخبِرونا عن رُسُل الله من بنى آدم هل جعل الله لهم السبيل والاستطاعة إلى ترك البلاغ ، ولو شاؤوا لغيّروا ما أُمروا به من تبليغ الوحى والعمل بالسُنن ؟ أو أُلزِموا ذلك إلزاماً فلا يستطيعون تركه ولا الزيادة فيه ولا النقصان منه ؟ فإن قالوا : « نعم ، قد جعل الله لهم سبيلاً واستطاعةً لترك البلاغ ولو شاؤوا لغيّروا ما نُزّل إليهم من كتابه وحكمته » فقد دخلوا فى أعظم ممّا كرهوا ، حين زعموا أنّ الرسل لو شاؤوا لم يعبدوا الله بالتوحيد ولم يعملوا له بطاعة إذ زعموا أنّهم قد كانوا يقدرون على كتمان الوحى والسُنن ، فيقال لهم : « فأنتم الآن لا تدرون

---

(٦) أمروا ، آ ص : اخدوا ، م // الوحى ، آ ص : للوحى ، م .
(٧) ألزموا ذلك ، آ م : ألزموا على ذلك ، ص // تركه ، آ : على تركه ، م ص .
(٨) ولو ، آ : فلو ، م ص .
(٩) دخلوا فى ، آ ص : دخلوا إلى ، م .
(١٠) الله ، م ص : — ، آ .
(١١) قد كانوا ، آ : كانوا ، م ص // فأنتم ، آ ص : وأنتم ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

هل بلّغت الرسل كلّ ما جاءهم من الوحى والسنن أم لا ؟ » فإن قالوا : « نعم ، تقدر الرسل على كتمان الوحى والسُنن إذا أرادت هكذا » احتُجّ عليهم . وإن قالوا : « لم تكن الرسل تقدر على كتمان الوحى ولا إبدال الفرائض ولا ترك البلاغ لأنّ الله ألزمهم البلاغ إلزاماً فلا يقدرون على تركه ولا كتمانه » فقد أجابوا وفى ذلك نقضٌ لقولهم .

٣

٤ أ ١٢ الخ

أخبِرونا عن إبليس من أخطر المعصية على باله أو من أوقع التكبُّر فى نفسه ؟ فإن قالوا : « نفسُه أمرتْه بالمعصية وهواه حمله على التكبّر » فقُلْ : « مَن جعل نفسَه أمّارةً بالمعصية وهواه حاملاً له على التكبّر ؟ » فإن قالوا « الله » كان ذلك نقضاً لقولهم ، ويقال لهم : « فمن أعطاه علم الخديعة والمكر ؟ آلله جعل ذلك فى نفسه أو شىء جعله هو لنفسه ؟ » فإن قالوا : « الله جعل ذلك له » كان ذلك نقضاً لقولهم ، وإن قالوا : « إنّ ذلك لم يكن من الله عطاءً ولا قسماً » فقد أدخل عليهم أعظم ممّا هربوا منه حين زعموا أنّ غير الله يجعل فى خلقه ما لم يُرِد الله أن يكون فيهم . فما أعظم هذا من القول !

وسَلْهم : « من أين علم إبليس أنّ آدم تكون له ذرّيّة وأنّ الموت يقضى عليهم وأنّه يكون لله فيهم عباد مخلصون وأنّه يحتنكهم إلاّ قليلاً ؟ » . فإن قالوا : « إنّ الله أعلمه ذلك » فقد نقض ذلك قولهم ، وإن قالوا : « إنّ إبليس علمه من قبل نفسه » فقد زعموا أنّ إبليس يعلم الغيب ، فسبحان الله العظيم !

---

(٢) هكذا ، آ : ذلك ، م ص .
(٤) نقض ، م ص : نقضاً ، آ
(٥) من أخطر ، آ : ما أخطر ، م ص
(٦) حمله ، آ ص : حملته ، م .
(٩) له ، آ : — ، م ص .
(١١) أدخل : آ : دخل ، م ص .
(١٣) من أين ، م ص : من حيث ، آ // يقضى ، آ (يقضا) ، ص : انقضى ، م .
(١٤) لله فيهم ، آ : منهم لله ، م ص // مخلصون ، م ص : مخلصين ، آ // يحتنكهم ، م ص : يحتنيهم ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

٤

٦ أ ١٥ الخ

أخبرونا عن آدم وزوجته حين أسكنهما الله الجنّة أكانت محبّةُ الله ومشيئته في خلودهما فيها وإقامتها أم في خروجها منها ؟ فإن زعموا أنّ محبّة الله ومشيئته كانت في خلودهما فقد كذبوا لأنّ أهل الجنّة لا يموتون ولا يتوالدون ولا يمرضون ولا يجوعون وقد قضى الله الموت على خلقه جميعاً وقضى على آدم أن يكون له ذرّية يكون منهم الأنبياء والرسل والصدّيقون والمؤمنون والشهداء والكافرون . ثم قال ﴿فيها تَحيَون وفيها تموتون ومنها تُخرَجون﴾ [٢٥/٧]، ثم قال ﴿منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نُخرِجكم تارةً أخرى﴾ [٥٥/٢٠] ؛ وكيف يكون ما قالوا وقد قضى الله القيامة والحساب والموازين والجنّة والنار ؟ سبحانَ الله ، ما أعظم هذا من قولهم ! وإن قالوا : « إنّ محبّة الله ومشيئته كانت في خروج آدم وزوجته من الجنّة وهبوطها إلى الأرض » فقد زعموا أنّه لم يكن ليخرجها من الجنّة إلاّ الخطيئة التي عملاها والأكل من الشجرة التي نُهيا عنها ، فقد أقرّوا لله بقدرته ونفاذ علمه وفي ذلك نقض قولهم .

٥

٨ ب ١٨ الخ

أخبرونا آلخير أراده الله بهم فوضعها فيهم أم الشرّ أراد بهم ؟ فإن قالوا : « الخير أراده بهم » فيقال لهم : « وكيف ذلك وقد جعلها وقد علم أنهم لا ينتفعون بها وأنّها لا تكون إلاّ في مضرّتهم » . وإن زعموا أنّه جعلها فيهم ليضرّهم انتقض عليهم قولهم .

---

(١) أخبرونا ، آ : خبرونا ، م ص .
(١٢) نفاذ ، م ص : إنفاد ، م .
(١٣) أخبرونا ، م ص : خبرونا ، آ // الخير ، آ : الحبر ، م .
(١٥) ليضرهم ، م ص : لضرهم ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

٦

٩ ب ٣ الخ

« هل يستطيعون أن يجهلوا ما جعلهم الله به عارفين أم لا يستطيعون ؟ » فإن قالوا « لا » فقد انتقض قولهم عليهم . وإن قالوا « نعم » فقُل : « هل يستطيعون أن يجهلوا معرفة الله فلا يعرفون أنّه خالق كلّ شيء ومصوّر كلّ شيء ؟ » فإن قالوا : « هذه الفطرة ، وليس يُثاب أحد عليها فالخلق كلّهم يعرفون أنّه الله » فقل : « هل يستطيعون أن يجهلوا الليل والنهار والسماء والأرض والدنيا والآخرة والناس والخلق كلّهم أنّ الله جعلهم كما شاء وكيف شاء ؟ » . فإن قالوا « نعم » فقد كذبوا والناس كلّهم شهود على كذبهم . وإن قالوا « لا » فقد تابعوك .

٧

١٠ ب ١٢ الخ

أخبِرونا عن الناس مَن أنطقهم والكلام مَن خلقه ؟ فإن قالوا « الله » فانتقض قولهم وذلك لأنّ الكلام يكون فيه الصدق والكذب والتوحيد والإشراك وأعظم الكذب الشرك بالله والافتراء عليه . وإن أنكروا أن يكون الله خلق المنطق والكلام فذلك الكفر بالله والشرك والتكذيب بما جاء من عنده ، فقل : « أخبِرونا عن قول الله فى كتابه إذ قال ﴿وقالوا لجلودهم لِمَ شهِدتم علينا ؟ قالوا أنطقَنا اللهُ الذى أنطق كلّ شيء وهو خلَقكم أوّلَ مرّة وإليه تُرْجَعون﴾ [٤١ /٢١] » .

---

(١) يستطيعون أن يجهلوا ، م : تستطيعون أن تجهلوا ، آ // جعلهم ، م : جعلكم ، آ .
(٢) فقل هل ، م : فهل ، آ .
(٦) جعلهم ، آم : خلقهم ، ص .
(١٠) الله خلق ، م : خلق الله ، آ .
(١١) الكفر بالله والشرك ، آ : الكفر والشرك بالله ، م // فقل ، م : فقال ، آ // أخبرونا ، آ : خبرونا ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

٨

١١ ب ٥ الخ

[المسألة عن الحركات:] من خلقها ؟ فإن قالوا : « الله خلقها » كان ذلك نقضاً لقولهم ، وذلك أنّ كلّ عمل من خير أو شرّ طاعةٍ أو معصية إنّما يكون بالحركات. فإن قالوا: « إنّ الله لم يخلقها » فقد أشركوا بالله وذلك ابتلاء عمل لأنّه لا يتمّ خلق الإنسان إلاّ بالحركة .

٩

١٢ ب ٨ الخ

أخبِرونا عن الأعمال التى عمِل بها بنو آدم أشىء هى أم ليست شيئاً ؟ فإن قالوا: « بل هى شىء » فقُل: « من خلق ذلك الشىء ؟ » فإن قالوا: « الله خلقه » انتقض عليهم قولهم ، وإن قالوا : « ليس مخلوقاً » كان ذلك شركاً بالله وتكذيباً لكتابه لأنّ الله سبحانه خالق كلّ شىء . فقل لهم : « ألم تعلموا أنّ أعمال بنى آدم شىء ؟ » فإن قالوا « نعم » فقل : « والله خلقها » ، وإن قالوا : « ليست بشىء » فقل لهم : « فقد زعمتم أنّ الله يثيب على غير شىء ويعذّب على غير شىء ويغضب من غير شىء ويرضى من غير شىء ويُدخِل الجنّة بغير شىء ويدخل النار بغير شىء » .

١٠

١٥ أ ٧ الخ

أخبِرونا عن الآجال مَن وقّتها ، أموقّتة هى أم غير موقّتة ؟ فإن قالوا : « الله وقّتها » فقد أجابوك ، فقل: « هل يستطيع أحد أن يزيد فيها أو ينقص منها »

---

(٣) ابتلاء ، غير معجمة فى المخطوطات // لأنه لا ، م ص : فلا ، آ .
(٥) أخبرونا ، م ص : خبرونا ، آ // التى عمل بها بنو آدم ، آ ص : بنى آدم ، م // شيئاً ، م ص : بشىء ، آ .
(٨) أعمال ، آ ص : أفعال ، م .
(١٠) ويعذّب ... ويرضى من غير شىء ، آ ص : — ، م .
(١١) النار ، م ص : الجنّة ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

إن شاء عجّلها عن وقتها وإن شاء أخّرها ؟ » فإن قالوا « لا » فقد انتقض عليهم قولهم ، وإن قالوا « نعم » فقل لهم : « فقد زعمتم أنّ الناس يستطيعون أن يقدّموا ما أخّر الله وأن يؤخّروا ما قدّم الله ، وهذا هو التكذيب لما جاء من عند الله وذلك قوله ﴿ولَنْ يُؤخِّرَ اللهُ نفساً إذا جاء أجلُها واللهُ خبير بما تعملون﴾ [١١/٦٣] » .

١١

١٨ أ ١١ الخ

أخبِرونا عن الأرزاق مَن قدّرها ، ومقدّرة هى أم غير مقدّرة ومقسومة هى أم غير مقسومة ؟ فإن قالوا : « نعم ، هى مقدّرة ومقسومة » فقد انتقض قولهم . ‹وإن قالوا « لا »› فقل لهم : « فهل يستطيع أحد أن يأخذ إلاّ رزقه أو يأخذ إلاّ ما قسم الله له ؟ » فإن قالوا « لا » فقد انتقض قولهم ، وإن قالوا « نعم » فقل : « فكيف ذلك ؟ » . فإن قالوا : « إنّ الله خلق الأموال والأطعمة والأشربة فذلك رزقه ، وبيّن لهم مأخذها فإن أخذوها من باب الحلال كانت حلالاً وإن أخذوها من باب الحرام كانت حراماً » فقل لهم : « أفَهُمْ يأخذون لأنفسهم ما شاءوا ، فأيّهم شاء أن يكون غنيًّا مكثرًا كان وأيّهم شاء أن يكون فقيرًا معدماً كان ؟ » . فإن قالوا « نعم » فقد كذبوا لأنّ الناس كلّهم حريص أن يكون غنيًّا وكاره أن يكون فقيرًا ، وقد قال الله سبحانه خلافاً لقولهم ﴿نحن قسمْنا بينهم مَعيشتَهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضَهم فوق بعض درجاتٍ ليَتَّخِذَ بعضُهم بعضاً سُخْرِيًّا ورحمةُ ربّك خيرٌ ممّا يَجمعون﴾ [٣٢/٤٣] . وقال ﴿واللهُ فَضّل بعضَهم على بعض فى الرزق فما الذين فُضّلوا بِرادّى ‹رزقهم على› ما ملكت أيمانُهم فهُمْ فيه سَواءٌ أفَبنعمة الله يَجْحدون﴾ [٧١/١٦] فى آيٍ كثيرة من كتاب الله سبحانه .

---

(٣) أن يؤخروا ، آ : يؤخروا ، م ص .
(١١) مأخذها ، م : حلالها ومأخذها ، آ .
(١٤) فقد كذبوا آ : كذبوا ، م // أن يكون غنيا ، م : غنيا ، آ .
(١٩) كثيرة ، آ : كثير ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

١٢

٢٠ ب ٢٠ الخ

أخبِرونا عن العقول أمخلوقة هى أم غير مخلوقة ؟ فإن قالوا « مخلوقة » فقل: « أمقسومة بين العباد أم غير مقسومة ؟ » فإن قالوا: « بل هى مقسومة » فقل: « فأخبرونا من أين عَرَف بعض الناس الهُدى فأخذ به وجهله بعضهم فتركه ، وكلّهم حريص على الهدى كاره للضلالة راغب فى العلم مبغض للجهالة ، وقد زعمتم أنّ الله قد جعل سبيلهم واحداً وعقولهم واستطاعتهم واحدةً وهى حجّة الله عليهم ؟ ». فإن قالوا: « بتوفيق من الله » فقد أجابوا ، وإن قالوا: « أخذ هداه منهم مَن أحبّ وتركه منهم مَن اتّبع هواه وأطاع إبليس إلى دعائه » قيل لهم: « فما صيّر بعضَهم تابعاً لهواه والعقول فيهم كاملة مستوية ؟ » . فإن قالوا: « بتوفيق من الله ، وفّق مَن شاء منهم » فقد أجابوا ، وإن قالوا: « فضّل الله بعضهم على بعض » فقد صدقوا ، وإن قالوا غير ذلك فقد كذبوا . ألا إنّه لو كان الناس فى العقول سواء ما كان فى الناس جاهل وعاقل وأحمق وحليم ولَسُمّى الجاهل عاقلاً والعاقل جاهلاً ، ولكنّ الأمر فى هذا أبين من ذلك ولكنّهم قوم يجهلون . وإن قالوا: « ذلك من قبل الأدب والتعليم » فقل: « لو كانت عقولهم مستويةً ما احتاج بعضهم إلى بعض فى أدب ولا تعليم » .

١٣

٢٣ ب ٥ الخ

أخبِرونا عن الإرادة ، إذا أراد الله شيئاً يكون أو لا يكون ؟ فإنّه قد قال ﴿ فَعّالٌ لِما يُريد ﴾ [١١/١٠٧] . فإن قالوا « نعم » قيل لهم: « وهل أراد

---

(١) أخبرونا ، م : خبرونا ، آ ص // مخلوقة ، م ص : بل هى مخلوقة ، آ .
(٣) فأخذ به ، آ ص : فأخذه ، م .
(٨) تابعاً لهواه ، آ ص : مانعاً لهداه ، م .
(١٠) ألا أنه ، م ص : لأنه ، آ .
(١١) فى الناس ، آ ص : من الناس ، م .
(١٢) من قبل ، م ص : قبل ، آ .
(١٥) يكون ، م ص : يكون كان ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

الله أن يَدخل خلقُه كلّهم فى الهدى ؟ » فإن قالوا : « نعم ، قد أراد أن يدخلوا كلّهم فى الهدى على غير جبر منه ولا إكراه » فيقال لهم : « فهل دخلوا فى الهدى كما أراد على غير وجه الجبر منه لهم والإكراه ؟ »

١٤

٢٥ أ ١٢ الخ

أرأيتم مَن طبع الله على قلبه وختم على سمعه وبصره أهو ممّن دُعِى إلى الإيمان فيثاب على أخذه ويعاقَب على تركه ؟ فإن قالوا « نعم » فقل : « وكيف يقبلون الإيمان وقد خُتِم على قلوبهم والله يقول ﴿ سَواءٌ عليهم أأنذَرْتَهم أم لم تُنذِرْهم لا يؤمنون ﴾ [٢/٦] . فهل ضَرّهم الطبعُ والختم أم نفعهم أم لم يضرّهم ولم ينفعهم ؟ » فإن قالوا : « إنّما ختم على قلوبهم بكفرهم » فقل : « هل ضرّهم الطبعُ حين فُعل بهم وحال بينهم وبين التوبة والدخول فى الإيمان ؟ ». فإن قالوا : « لم يضرّهم ، ولو شاؤوا آمنوا » فالله قد كذّبهم واجترأوا على الردّ على الله قولَه ، فقل : « فتراهم حين طُبع على قلوبهم حين لم يقبلوا الإيمان » . فإن قالوا : « فإنّهم لا يقدرون على الإيمان حتى يفتح الله قلوبهم » فقد أقرّوا لله بقدرته وانتقض عليهم قولهم ، إذ زعموا أنّ الختم قد ضرّهم وأنّهم يعذّبون على ما كان من تركهم الإيمان وأخذهم بالكفر بعد الختم وعملهم بما لا يستطيعون تركه .

١٥

٢٧ ب ١٥ الخ

أخبِرونا عن الزيادة ، فإنّ الله يقول ﴿ ومِن الناس مَن يقول آمَنّا بالله وباليوم الآخِرِ وما هم بمؤمنين * يخادِعون الله والذين آمنوا وما يَخدَعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون * فى قلوبهم مَرَضٌ فزادهم اللهُ مَرَضاً ولهم عذابٌ أليم بما

---

(٤) دعى ، م ص : دعا ، آ .
(٧) والختم ، آ م : أو الختم ، ص .
(١٣) إذ ، م ص : وإن ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

كانوا يَكذبون﴾ [٢/٨–١٠] . وقوله لقوم ﴿ومِنهم مَن عاهد اللهَ لَئِن آتانا من فضْله لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنكونَنّ من الصالحين * فلمّا آتاهم من فضْله بَخِلوا به وتَوَلَّوا وهم مُعْرِضون * فأعْقَبَهم نِفاقاً فى قلوبهم إلى يومِ يَلقَونه﴾ [٩/٧٥–٧٧] . ألستم تعلمون أنّ الله زادهم مرضاً ومدّ آخرين فى طغيانهم يعمهون وأعقب قوماً نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ؟ فإن قالوا : « نعم ، ولكنّه صنع ذلك بهم عقوبةً بذنوبهم » فيقال لهم : « فنعم ، أفليسوا معذورين بما عملوا من معصيته حين فعل ذلك بهم ؟ » . فإن قالوا « لا » فقل : « فقد دخلتم فيما عبتم إذ زعمتم أنّ الله يعذّب قوماً على ما لا يستطيعون تركه ، لأنّه فعل ذلك بهم » .

١٦

٢٩ ب ١٩ الخ

أخبِرونا عمّا صنع الله بالعباد، هل يعذّبهم عليه ؟ فإن قالوا « لا » فقل : « فأخبرونا عمّن زاده الله كفراً ومدّه فى طُغيانه وأعقبه النفاق فى قلبه ، هل يعذّبه عليه ؟ » . فإن قالوا « نعم » فقد دخلوا فيما كانوا يعيبون ، وإن قالوا « لا » فقل : « فقد زعمتم أنّ الله لا يعذّب من كان على الكفر ولا يضرّ من كان عليه وأنتم تزعمون أنّ الله إنّما صنع ذلك عقوبةً لهم » . وسَلْهم : « هل استطاع هؤلاء الترك لما صنع الله بهم والخروج منه ؟ » فإن قالوا « لا » فقد أجابوا ، وإن قالوا « نعم » فقد كذبوا بكتاب الله وخالفوا قول الله إذ يقول ﴿فأعقَبَهم نِفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يَلقَونه﴾ [٩/٧٧] ، فإن كانوا يقدرون على أن يصرفوا من النفاق قلوبَهم قبل أن يلقونه فقول الله بزعمهم باطل فى قوله ﴿خَتَمَ اللهُ على قلوبهم وعلى سمْعهم وعلى أبصارهم غِشاوَةً ولهم عذابٌ عظيم﴾ [٢/٧] .

---

(٤) ألستم تعلمون ... يلقونه ، آ : — ، م ص // زادهم : زادها ، آ .
(٧) إذ ، آ ص : أن ، م .
(٨) فعل ، م ص : صنع ، آ .
(١٠) فأخبرونا ، آ : خبرونا ، م ص .
(١٥) بكتاب ، آ ص : لكتاب ، م .
(١٧) يلقونه ، آ : يلقوه ، م ص .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

١٧

٣١ أ ١ الخ

﴿ ... المسألة عن قول الله سبحانه ﴿وإذ يَعِدُكم اللهُ إحدى الطائفتين أنّها لكم﴾ [٨/٧] ﴾ ، أليس إنّما يريد الله العِير والغنيمة أو المشركين وغلبتهم والنصر ؟

فإن قالوا « نعم » فقل : « هل كانوا يقدرون على أن لا يقاتلوا ولا يخرجوا إلى القتال ؟ » فإن قالوا « نعم » فقد زعموا أنّهم كانوا يقدرون على أن يخلف الله وعدَه الذى وعد رسوله ، وهذا قول عظيم يُدخِلهم فى أعظم ممّا كرهوا . وإن زعموا أنّهم لم يكونوا يقدرون على أن لا يخرجوا الى القتال لا المؤمنون ولا الكافرون أقرّوا بما كرهوا . فإنّ الله قد أراد أن يقاتل المؤمنون الكافرين وأن يقاتل الكافرون المؤمنين وأنّ الفريقَين لم يكونوا يستطيعون التخلُّف ولا الترك للقتال حتى ينجز الله وعده ويُعِزّ المؤمنين ويُذِلّ الكافرين ويوهن كيدهم ، وكذلك أراد بالفريقَين جميعاً .

وقد كان فيما صنع الله بالفريقَين يومَ بدر بيّنةٌ لنبيّه و برهان ، وذلك أنّ الله سبحانه لم يكل المؤمنين إلى ما زعم الجهّال المكذّبون أنّ الله جعل فى العباد استطاعةً ثمّ وكلهم إليها . فلم يرضَ حتى أيّدهم بنصره وأمدّهم بملائكته ، ثمّ أجرهم على صبرهم على البأس وهو صبّرهم وأجرهم على الثبات وهو ثبّتهم وأجرهم على ائتلافهم وهو ألّف بينهم وأجرهم على صرامتهم وهو ربط على قلوبهم وأجرهم على ظفرهم وهو ألقى الرُعب فى قلوب عدوّهم ؛ وهذا كلّه خلاف لقولهم وردٌّ عليهم .

---

(٢) الله ، آ : — ، م ص .
(٤) فقل ، م ص : — ، آ .
(٦-٨) وإن زعموا ... بما كرهوا ، آ : — ، م ص .
(١٠) ويذل ، آ ص : فيذل ، م .
(١٤) ثم ، م ص : — ، آ // أمدّهم ، م ص : أيدهم ، آ .
(١٥) بملائكته ، آ ص : بمليكته ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

فجعل غلبةَ المؤمنين للكافرين نصرًا وعزًّا وتأييدًا وجعل غلبةَ الكافرين دُولةً بلاءً وإملاءً فأنزل فى قتال المؤمنين الكافرين بأُحد حينئذٍ وفى المشركين من المؤمنين ﴿فأثابكم غمًّا بغمٍّ﴾ [٣/١٥٣] ؛ أمّا الغمّ الأوّل فالهزيمة والقتل ، وأمّا الغمّ الآخر فإشراف خيول الكفّار على الجبل حتى أشرفوا عليهم فظنّوا أنّها الهلكة . قال الله تعالى ﴿لكيلا تحزَنوا على ما فاتكم﴾ من الغنيمة ﴿ولا ما أصابكم﴾ [٣/١٥٣] يعنى من قَتْل مَن قُتِل مِن إخوانكم . قال ﴿والله خبير بما تعملون﴾ [٣/١٥٣] .

فإن قالوا : « إنّ الله إنّما فعل ذلك بذنوبهم ومعصيتهم » قيل : « فإنّه إنّما عَصى منهم نفرٌ يسير وهم الرماة نحو من خمسين رجلاً ، فقد عمّ ذلك البلاء جميع المسلمين حتى وصل إلى نبىّ الله صلّعم فشُجّ فى وجهه وكُسرت رَباعِيته ، وقد كان المسلمون يوم أُحد سبعمائة — أو يزيدون — فأخبر الله أنّه صنع ذلك بهم فأثابهم غمًّا بغمّ . أفليس قد أراد الله أن يصيبهم ذلك بأيدى الكافرين ولأن ينهزموا وأن يُقتَل من قُتل منهم ؟ » .

ثمّ أخبر أيضاً بما صنع بهم بعد الذى كان منه إليهم من الغمّ فقال ﴿ثُمّ أَنْزَلَ عليكم مِن بعد الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغشَى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمّتهم أنفسُهم يظنّون بالله غير الحقّ ظنَّ الجاهليّة يقولون هل لنا من الأمر من شىء﴾ [٣/١٥٤] . قال الله لنبيّه ﴿قُلْ إنّ الأمر كلّه لله يُخفون فى أنفسهم ما لا يُبْدون لك﴾ [٣/١٥٤] ، فأخبر عمّا أخفوا فى أنفسهم فقال ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شىءٌ ما قُتِلْنا هاهنا﴾ [٣/١٥٤] ، يقولون : لو كنّا فى بيوتنا ما أصابنا القتل ، قال الله تكذيباً لهم ﴿قُلْ لو كنتم فى بيوتكم لَبَرَزَ الذين كُتِب عليهم القتلُ إلى مَضاجعهم﴾ [٣/١٥٤] فأخبر أنّه قد كتب

---

(١) غلبة ، آ ص : عليه ، م // للكافرين ، آ ص : الكافرين م .
(٢) بأحد حينئذ وفى ، غير واضح فى م وص (الفلم) .
(٣) أمّا الغمّ الأوّل ... والقتل ، م ص : — ، آ .
(٤) خيول ، آ : حمل ، م ص .
(٦) من قتل من قتل ، آ : من قتل ، م ص .
(١٠) شج فى ، ص : شج ، آ م .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

القتل على قوم قبل أن يُقتلوا وجعل لهم مضاجعَ إليها يصيرون ، ثم نهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأن يظنّوا بالله كظنّهم فقال ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفَروا وقالوا لإخوانهم إذا ضَرَبوا فى الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا ليَجْعل الله ذلك حَسْرَةً فى قلوبهم والله يُحيي ويُميت والله بما تعلمون بصير﴾ [٣/١٥٦] . قال فى غلبة الكافرين للمؤمنين وهزيمة المؤمنين قال الله : ﴿وتلك الأيّام نُداولها بين الناس وليَعْلَمَ الله الذين آمنوا ويتّخذ منكم شهداء والله لا يحبّ الظالمين﴾ [٣/١٤٠] . وقال ﴿وما أصابكم يومَ التقى الجَمْعان فبإذن الله وليَعْلم الله المؤمنين * وليَعلم الذين نافقوا﴾ [٣/١٦٦–١٦٧] فى آى كثيرة يُخبر أنّ الأمر كلَّه منه وهو يدبّر أمر خلقه ويصرّفهم كيف يشاء .

وأخبر أنّ الذى أصاب المؤمنين يومَ أُحد إنّما كان بإذن الله مِن قتْل الكافرين إيّاهم وهزيمتهم لهم حتى قُتل منهم سبعون رجلاً ، وأنتم تزعمون أنّه لم يأذن فى المعاصى ! وإنّها لا تكون إلاّ بإذنه ، ولكن الإذن قد يكون على معنيَين : أمّا أحدهما فيكون أمرًا منه يأمر به والآخر يكون إذناً على وجه الإرادة أنّه أراد أن يكون لأنّه ﴿فعّال لما يريد﴾ [١١/١٠٧] .

ثمّ قد عيّر الذين قالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غُزًّى « لو كانوا عندنا ما ماتوا ولا قُتلوا » ، فكذّبهم الله وأخبر بما قد سبق منه لهم وما قد كتبه عليهم ، وعيّر الذين قالوا « لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا » ، فكذّبهم الله بما قالوا من ذلك . فلو تدبّرتم كتاب الله وآمنتم بما فيه ما عارضتم أمور الله تعالى ولاعبتم قضاءه تردّون عليه برأيكم أمره وتعنّفون حكمه

(٥-٧) قال ... الظالمين ، آ ص : — ، م .
(٩) يدبر أمر ، م ص : يريد أمور ، آ .
(١٣) إلا ، آ : — ، م ص (وانظر ص ٢٣ س ٥ // قد يكون ، آ ص : — ، م .
(١٧) فكذبهم الله ، آ : فكذبتم ، م ص .
(١٩) فكذّبهم ... من ذلك ، آ : — ، م ص // عارضتم ، م ص : غارضتم ، آ .
(٢٠) ولا عبتم ، آ (ولا عتم) : وسمتم ، م // عليه ، آ : عليهم ، م ص // تعنفون ، آ (بعنفون) : تعقبون ، م ص .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

وتظلمون عدله تقولون « فعل بخلقه شيئاً ثم عذّبهم عليه بما صنع بهم فقد ظلمهم » . فسبحان الله ، ما أعظم قولكم وأضعف رأيكم !

١٨

٣٤ ب ١٥ الخ

أخبِرونا عن الإذن وإنكاركم أن يكون الله أذن فى المعاصى . فقل : « الإذن من الله على وجهَين : فإذنٌ أذن فيه أمرٌ يأمر به وإذنٌ أذن فيه إرادةٌ منه أن يكون لما يشاء من أمره ، وما كان من معصية فلا يكون إلاّ بإذنه وكذلك المنّة وذلك إرادة منه » . فإن قالوا « نعم » فقد أقرّوا بنفاذ أمره وإرادته ، وإن جحدوا وأنكروا فإنّ الله قد كذّبهم فى كتابه فقال للمؤمنين ﴿وما أصابكم يومَ التقَى الجَمعان فبإذن الله﴾ [٣/١٦٦] يعنى بذلك : ما أصابكم من القتل والهزيمة ، وإنّما كان ذلك تأييداً للكافرين فقد أذن الله للكافرين أن ينالوهم بما أصابوهم من القتل والجراح والهزيمة . فإن زعموا أنّ إذن الله أمرُه فقد زعموا أنّه أمر بالمعاصى وأمر المشركين أن يقتلوا المؤمنين ، وكلّ مأمور إذا فعل ما أُمر به فهو مطيع وله عليه أجر ، والكتاب يكذّبهم . وإن زعموا أنّ إذْنه على وجهَين ، ‹أحدهما› على وجه الأمر والآخر على وجه الإرادة فقد أقرّوا بالحقّ ، وفى ذلك نقض لقولهم وردّ عليهم ، فقد زعموا أنّ الله يريد أن يكون ما لا يأمر به ولا يرضاه .

١٩

٣٥ ب ١٦ الخ

أخبرونا عن التزيين بالإرادة دون الأمر ! فإن أنكروا أنّ الله يزيّن لعباده دون أن يكون أمراً منه فقد ردّ الله عليهم قولهم فقال فى الإنعام ﴿ولا تسبّوا الذين

---

(١) وتظلمون ، آ ص : تظلمون ، م // تقولون ، آ م : وتقولون ، ص .
(٢) الله ، آ ص : — ، م
(٤) يأمر به ، آ م : يأمره ، ص // إرادة منه ، آ : إرادة فيه ، م ص .
(٥) المنة ، آ : اظنه ، م ص .
(٩) بما ، آ ص : مما ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

يدعون من دون الله فيسبّوا اللهَ عَدْوًا بغير علم كذلك زيّنّا لكلّ أمّةٍ عَمَلَهم﴾ [٦/١٠٨] وقال فى حمٓ السجدة ﴿وقَيَّضْنا لهم قُرَناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم ...﴾ [٤١/٢٥] . وقال فى النمل ﴿إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زَيّنّا لهم أعمالهم فهم يَعْمَهون﴾ [٢٧/٤] . هذا كلّه تزيينٌ أراده ، أوَ ليس أراده ؟

٢٠

٣٧ أ ٦ الخ

أخبرونا عن الجعل بالإرادة دون الأمر ! فإن أنكروا فأخبرْهم أنّ الله يقول ﴿ومن أظْلَمُ ممّن ذُكِّرَ بآيات ربّه فأعْرَضَ عنها ونَسِيَ ما قدّمتْ يداه إنّا جعلنا على قلوبهم أكِنَّةً أن يفقهوه وفى آذانهم وَقْرًا وإن تَدْعُهم إلى الهُدى فلن يهتدوا إذًا أبدًا﴾ [١٨/٥٧] . وقال سبحانه ﴿عسى الله أن يَجْعلَ بينكم وبين الذين عادَيتم منهم مودّةً والله قدير والله غَفور رحيم﴾ [٦٠/٧] فى آيات كثيرة من الكتاب. فيقال لهم : « ما ذلك الذى جعل الله وهو كائن كما جعل ؟ » . فإن قالوا : « إنّما ذلك الدعاء » فقل : « إنّ الدعاء قبل ذلك ، فقد دعا العبادَ جميعاً وهذا شىء قد خصّ به من شاء من خلقه ولم يعمّهم لأنّه إنّما يهتدى من جعل الله فى قلبه الهدى ولم يعمّهم بالهدى» . فإن قالوا : « قد نعلم أنّ الله قد جعل الناس كلّهم مهتدين ولا نقول إنّ الله قد جعلهم كُفّارًا » فقل : « إنّ الله يردّ عليكم قولكم فى كتابه فإنّه قد قال ﴿قُلْ هل أُنَبِّئُكم بشرٍّ من ذلك مَثوبةً عند الله مَن لَعنه اللهُ وغَضِب عليه وجَعَل منهم القِرَدَةَ والخنازيرَ وعَبَدَ الطغوتَ أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سَوَاء السبيل﴾ [٥/٦٠] » . ألا ترى أنّ الله قد جعل منهم القردة والخنازير ؟ فإن زعموا أنّ الله إنّما سمّاهم بذلك ونسبهم إليه فقل : «كذلك لم يجعلهم قردة وخنازير ، وإنّما سمّاهم ‹ بذلك › ونسبهم إليه » . وإن أقرّوا أنّ الله جعلهم عبدة الطاغوت فذلك

---

(٢) حم ، آ : اخر ، م ص .
(٢٠) إنّما ، آ ص : — ، م // فقل ... إليه ، آ ص : — ، م .
(٢١) عبدة ، م ص : عبد ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

نقضٌ لقولهم . وإن قالوا : « إنّ الله لم يجعلهم عبـــدة الطاغوت » كان ذلك تكذيباً منهم ، فقل : « فإنّ الله قد قال أيضاً ﴿وكذلك جعلنا فى كلّ قَرْية أكابرَ مُجْرِميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلاّ بأنفسهم وما يشعرون﴾ [٦/١٢٣] . ألا ترون الله يخبر أنّه قد جعل فى كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ؟ » . فإن قالوا : « إنّه لم يجعلهم ليمكروا فيها » كان ذلك تكذيباً منهم ، وإن أقرّوا كان ذلك نقضاً لقولهم . وقد قال الله لقوم فرعون ﴿وجعلناهم أئمّةً يدعون إلى النار ويومَ القيامة لا يُنْصَرون﴾ [٢٨/٤١] . فإن قالوا « نعم » كان ذلك نقضاً لقولهم ، وإن قالوا « لا » فقد كذّبوا . والله يقول ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سَكَناً وجَعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تَستخفّونها يوم ظَعْنِكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين * والله جعل لكم ممّا خلَق ظِلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم ‹الحرّ وسرابيل تقيكم› بأسكم﴾ [١٦/٨٠–٨١] . ألا ترى أنّ الناس هم غزلوا ونسجوا وعملوا الدروع واتّخذوا المساكن والبيوت ثمّ نسب ذلك منّةً إليه وأخبر أنّه خلقه ؟ فمنّ به عليهم وذلك أنّه أراده ، فكان ما أراد ولم يأمر به .

٢١

٤٠ ب ١٤ الخ

أخبرونا عن الإغراء بالإرادة دون الأمر ، فإنّ الله يقول ﴿ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذْنا ميثاقهم فنَسوا حظّاً ممّا ذُكّروا به فأغْرَينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [٥/١٤] . فسَلْهم : « هل كان هاؤلاء يستطيعون أن يخرجوا ممّا صنع الله بهم وأن يتركوا العداوة بينهم ؟ » فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا كتاب الله ، وإن قالوا « لا » كان ذلك نقضاً لقولهم .

---

(١) لقولهم ، آ ص : قولهم ، م .
(٥) انه لم ، آ ص : ان لم ه ، م .
(٧–٨) نعم ... قالوا ، م ص : — ، آ .
(١٣) نسب ، آ ص : — ، م // منة إليه : منه وإليه ، آ م ص (وراجع §٤٠ ، ص ٣٥ ، س٧) .
(١٧) هؤلاء ، آ : هولاء لا ، م ص .
(١٨) فقد ، آ ص : — ، م

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

٢٢

٤١ ب ٤ الخ

أخبرونا عن قول الله ﴿وهو الذى كفّ أيديَهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ [٤٨/٢٤] وذلك يوم الحُدَيبية ، فسلْهم : « هل كان واحد من الفريقَين يستطيع أن يبسط يده إلى أخيه والله عزّ وجلّ يخبر أنّه قد كفّ بعضهم عن بعض بإرادة لا بأمر؟ » فإن قالوا : « نعم ، قد كانوا يستطيعون أن يقاتل بعضهم بعضاً » كذّبوا كتاب الله عزّ وجلّ . وإن قالوا « لا » فهذا نقض لقولهم .

٢٣

٤٢ أ ١٧ الخ

... المسألة عمّا وعد الله جلّ ثناؤه رسوله والمؤمنين من الغنائم الكثيرة التى قال يأخذونها ، هل كانت تلك الغنائم التى وعدهم إيّاها تكون إلاّ من الكافرين ؟ فإن قالوا « لا » فقل : « فهل كان أولئك الكافرون يستطيعون أن يؤمنوا حتى لا تحلّ غنائمهم ولا دماؤهم ولا أموالهم ؟ » فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا قول الله عزّ وجلّ ، وإن قالوا « لا » فذلك نقض لقولهم .

٢٤

٤٢ ب ١١ الخ

... المسألة عن قول الله عزّ وجلّ ﴿يا أيّها الذين آمنوا اذكُروا نِعْمَتَ الله عليكم إذ هَمّ قومٌ أن يَبْسطوا إليكم أيديَهم فكفّ أيديَهم عنكم﴾ [٥/١١] ، وذلك أنّ ناساً من اليهود كانوا أرادوا قتْل رسول الله صلوات الله عليه ونفرٍ معه من أصحابه ، فأخبر الله عزّ وجلّ رسوله وكفّ أيديَهم عنه وعن أصحابه . فسلْهم :

---

(٤) بإرادة لا بأمر ، م ص : بإرادته لا بأمره ، آ
(٨) التى ، آ ص : الذى ، م .
(٩—١٠) فإن قالوا ... أموالهم ، م ص : — ، آ .
(١٥) اصحابه ... جل ، م ص : — ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

« هل كانوا يستطيعون أن يبسطوا أيديهم عليهم وقد كفّها الله عنهم أم لا ؟ ». فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا قول الله جلّ ثناؤه ، وإن قالوا « لا » فذلك نقضٌ لقولهم .

٢٥

٤٣ أ ١٤ الخ

... المسألة عن قول الله عزّ وجلّ لعيسى بن مريم وهو يذكر نعمة الله عليه فقال : ﴿وإذ كففتُ بنى إسرائيلَ عنك إذ جئتَهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم إنْ هذا إلاّ سِحرٌ مُبين﴾ [٥/١١٠] . فهل كان لبنى إسرائيل أن يبسطوا أيديهم على عيسى عليه السلام ؟ فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا قول الله ، وإن قالوا « لا » فذلك نقض لقولهم .

٢٦

٤٣ ب ١٧ الخ

... المسألة عن قول الله سبحانه ﴿سنُلْقِى فى قلوب الذين كفروا الرُعْبَ بما أشركوا بالله ما لم يُنَزِّلْ به سلطاناً﴾ [٣/١٥١] . وقال فى سورة الحشر ﴿وظنّوا أنّهم مانِعَتُهم حصونُهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقَذَف فى قلوبهم الرُعْبَ﴾ [٥٩/٢] ، وقال ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَياصيهم وقَذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تَقتلون وتأسِرون فريقاً﴾ [٣٣/٢٦] . فأخبِرونا عن الرعب الذى قذف الله فى قلوب الكافرين ، هل كانوا يستطيعون أن يمتنعوا منه وأن يصرفوه عن قلوبهم ؟ فإن قالوا « لا » كان ذلك نقضاً لقولهم ، وإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا بكتاب الله وزعموا أنّ العباد يمتنعون من الله .

وإن قالوا : « إنّما صنع الله ذلك بهم بكفرهم » فقل : « ألستم تعلمون أنّ الرعب شىء لطيف لا يراه الناس ولا يردّونه ولا يمتنعون منه حين يدخل قلوبَهم

---

(١٦) بكتاب ، آص : كتاب ، م .
(١٩) يدخل ، آم : يدخل فى ، ص .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

فيوهن اللهُ بذلك كيدهم ؟ » وينقض قولهم . فإن قالوا « نعم » فقل : « وكذلك أيضاً التوفيق شيء لطيف لا تراه العباد يُلقيه الله سبحانه فى قلوب المؤمنين ، وأمور الله كلّها كذلك ، مَن أراد به خيراً وفّقه وسدّده وأرشده وكان ذلك عوناً من الله لهم ، ومن أراد به سوءًا ثبّطه وعوّقه وخذله وتركه وهواه ووكله إلى نفسه فوكله إلى الضعف والهون ﴿والله غالب على أمره﴾ [١٢/٢١] .

٢٧

٤٥ أ ١٩ الخ

أخبرونا عن الذرء بالإرادة ، فإنّ الله يقول ﴿ولقد ذَرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعيُنٌ لا يُبصِرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون﴾ [٧/١٧٩]. فسلْهم : « هل يستطيع هاؤلاء أن ينقلبوا عمّا ذرأهم الله له ؟ » فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا وزعموا أنّهم يستطيعون أن يبدّلوا خلقهم وإرادة الله فيهم ، وإن قالوا « لا » كان نقضاً لقولهم .

٢٨

٤٦ ب ١٠ الخ

... المسألة عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ولو شاء ربّك لجَعل الناسَ أُمّةً واحدةً ولا يزالون مختلفين * إلاّ مَن رحم ربُّك ولذلك خلقهم﴾ [١١/١١٨–١١٩] . فيقال لهم : « أخبِرونا عن هاؤلاء الذين قال الله ﴿ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم﴾ ، هل يستطيعون أن يكونوا على غير ما وصفهم به وأن يتركوا ما خلقهم له ؟ » فإن قالوا « لا يستطيعون » فقد أجابوا وصدقوا ، وإن قالوا « نعم ، هم يستطيعون أن يكونوا على غير ما خلقهم » فقد كذّبوا وخالفوا ، وإن زعموا أنّ الله جلّ ثناؤه إنّما خلق أهل الإيمان للرحمة فنحن نقبل منكم ونصدّقكم

---

(١) فيوهن ... كيدهم ، آ ص : فمومن ... كبدهم ، م .
(٢) أيضا التوفيق ، م ص : التوفيق أيضاً ، آ.

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

إن زعمتم أنّ الله جلّ ثناؤه خلق خلقاً من خلقه خصّهم بالرحمة ولا يستطيعون أن يكونوا على غير ما خلقهم لأنّه قد استثنى لهم .

٢٩

٤٨ أ ١ الخ

أخبرونا عن قول الله ﴿إنّ الإنسان خُلق هلوعاً * إذا مسّه الشرُّ جَزوعاً * وإذا مسّه الخيرُ مَنوعاً﴾ [٧٠/١٩–٢١] ، ثمّ استثنى أيضاً فقال ﴿إلاّ المصلّين * الذين هُم على صلاتهم دائمون﴾ [٧٠/٢٢–٢٣] ، فيقال لهم : « ألا ترون أنّ الله عزّ وجلّ قد صنّفهم صِنفَين ، فمنهم مَن خلقه هلوعاً جزوعاً < منوعاً > ، ومنهم من لم يخلقه كذلك . فأخبِرونا هل يستطيع هذا الذى خلقه هلوعاً جزوعاً منوعاً أن يكون على غير ما خلقه الله عليه ؟ » فإن قالوا « نعم » فقد زعموا أنّ الناس يقدرون على أن يبدّلوا خلق الله الذى خلقهم عليه ، وإن قالوا « لا » كان ذلك نقضاً لقولهم .

٣٠

٤٩ أ ٢١ الخ

... المسألة عن قول الله سبحانه حين يقول للمؤمنين ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعْنا وهم لا يسمعون * إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصُمّ البُكمُ الذين لا يعقلون﴾ [٨/٢١–٢٢] . هل كان هؤلاء الذين ذَكر يستطيعون أن يقبلوا الهدى وأن يسمعوا المنفعة فى دينهم ؟ فإن قالوا « نعم » فقد كذبوا وجحدوا ، وإن قالوا « لا » كان ذلك نقضاً لقولهم .

٣١

٥٠ أ ٣ الخ

... المسألة عمّا ضرب الله عزّ وجل للمنافقين من المثل فى قوله ﴿مَثَلُهم كمَثَل الذى استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى

---

(١) إن زعمتم ، آص : — ، م .
(٣) خلق هلوعاً ، ص : — ، آم .
(٧) كذلك ، آص : لذلك ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

ظُلماتٍ لا يُبصِرون * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فهم لا يَرْجعون﴾ [٢/١٧–١٨] . فنقول : ألا ترون أنّ الله هو الذي ذهب بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ؟ فأخبِرونا هل كان هؤلاء يستطيعون سماع الهدى وقد وصفهم الله سبحانه بالصمم ؟ وهل كان لهم أن يقبلوا الهدى وقد وصفهم بالعمى ؟ وهل كانوا ينتفعون بنور الهدى وقد ذهب الله به ؟ فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا بكتاب الله وجحدوا بآياته ، وإن قالوا « لا » كان ذلك نقضاً لقولهم .

٣٢

٥٠ ب ٦ الخ

... أخبرونا عن قول الله ﴿ولا يَحْسَبَنّ الذين كفروا أنّما نُمْلي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نُملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مُهين﴾ [٣/١٧٨] . [فقال :] أخبرونا عن هؤلاء ، آلله أراد بهم فى إملائه لهم ليزدادوا إثماً كما قال ؟ فإن قالوا « نعم » نقض ذلك قولهم ، وإن قالوا « لا » كذّبوا .

٣٣

٥١ أ ١١ الخ

أخبرونا عن قول الله عزّ وجلّ فى الإغفال ﴿ولا تُطعْ مَن أغفلْنا قلبه عن ذِكرنا واتّبَعَ هواه وكان أمره فُرُطاً﴾ [١٨/٢٨] . [فقال :] أخبرونا عن هذا الذى أغفل الله قلبه عن ذكره ، هل أراد الله أن يُطيعه ؟ فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا وجحدوا ، وإن قالوا « لا » فقد نقض ذلك قولهم .

٣٤

٥١ ب ٢١ الخ

أخبرونا عن قول الله سبحانه ﴿ألم تَرَ أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تَؤزُّهم أزّاً﴾ [١٩/٨٣] . فيقال لهم : « هل أراد الله سبحانه أن يؤمن هؤلاء

(٧–٨) أخبرونا ... مهين ، م ص : — ، آ .
(١١–١٢) أخبرونا ... فرطاً ، آ : — ، م ص .
(١٤) فقد نقض ذلك قولهم ، م ص : فقد نقضوا قولهم ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الذين أرسل الله عليهم الشياطين ؟ » فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا وجحدوا ، وإن قالوا « لا » فقد نقض ذلك قولهم .

٣٥

٥٢ ب ١٧ الخ

أخبرونا عن قول الله سبحانه ﴿وأوحَينا إلى أمّ موسى أن أرضِعيه فإذا خِفْتِ عليه فألْقِيه فى اليَمّ ولا تَخافى ولا تَحْزَنى إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسَلين﴾ [٧/٢٨] ، هل كان فرعون يستطيع أن يقتل موسى حتى لا يردّه الله إلى أُمّه ولا يجعله من المرسلين ؟ فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا وجحدوا ، وإن قالوا « لا » فقد نقض ذلك قولهم .

٣٦

٥٣ أ ٢١ الخ

المسألة عن قول الله سبحانه ﴿وكذلك حقّت كلمات ربّك على الذين كفروا أنّهم أصحاب النار﴾ [٦/٤٠] وقوله ﴿وتمّت كلمة ربّك لَأملانّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين﴾ [١١٩/١١] ، وقوله ﴿ولو شئنا لَأتينا كلّ نفس هُداها ولكن حقّ القولُ منّى لأمْلأنّ جهنّمَ من الجنّة والناس أجمعين﴾ [١٣/٣٢] . فيقال : أخبِرونا عن بنى آدم كلّهم ، هل كانوا يستطيعون أن يطيعوا الله جميعاً فلا يعصوه ويعبدوه كلّهم حتى لا يعبدوا غيره فيوجب لهم الجنّة ويحرّم عليهم النار فلا يدخلها أحد منهم ؟ فإن قالوا « نعم » فقد كذّبوا كتاب

---

(١) كذبوا ، آ ص : كفروا ، م // جحدوا ، م ص : جحدوا به ، آ .
(٢) فقد نقض ذلك قولهم ، م ص : فذلك نقض قولهم ، آ .
(٥) هل .. يستطيع ، م ص : هل استطاع ، آ .
(٦) فقد كذبوا ، آ : كذبوا ، م ص .
(٧) فقد نقض ذلك قولهم ، م ص : فذلك نقض لقولهم ، آ .
(١٠) وتمت ، آ ص : وحقت ، م .
(١٣–١٤) أن يطيعوا ... يعبدوه ، م ص : — ، آ .
(١٥) كتاب ، آ : بكتاب ، م ص

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

الله وزعموا أنّهم يقدرون على أن يبطلوا قول الله تبارك وتعالى عن ذلك ، وإن قالوا « لا ، لم يكونوا يستطيعون أن يطيعوه ولا يعبدوه » كان ذلك نقضاً لقولهم وإبطالاً لحجّتهم .

٣٧

٥٤ أ ١٢ الخ

المسألة عن قول الله سبحانه ﴿أنظُرْ كيف فضّلْنا بعضهم على بعض ولَلآخرةُ أكبرُ درجاتٍ وأكبر تفضيلاً﴾ [٢١/١٧] . فيقال لهم : « ألستم تقرّون أنّ الله سبحانه قد فضّل بعض خلقه على بعض فى الدنيا والآخرة وخصّ بذلك بعض خلقه دون بعض ؟ » . فإن قالوا « نعم » انتقض قولهم وإنّ الطاعة والإيمان ممّا فضّل الله به عباده وخصّهم به من رحمته ، وإن قالوا « لا » فقد جحدوا بآيات الله وكذّبوا كتابه .

٣٨

٥٤ ب ١٤ الخ

أخبرونا عن قول الله تبارك وتعالى لإبليس ﴿إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطانٌ إلاّ مَن اتّبَعَك من الغاوين﴾ [٤٢/١٥] ، وعن قوله ﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعِذْ بالله من الشيطان الرجيم * إنّه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون * إنّما سلطانه على الذين يَتولّونه والذين هم به مشركون﴾ [٩٨/١٦—١٠٠] ، وقال إبليس ﴿لأغْوِيَنّهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين﴾ [٣٩/١٥—٤٠] . [فقال :] أخبِرونا عن هذا السلطان ، ما هو ؟ فإن قالوا

---

(٢) يطيعوه ، آ : يطيعوا ، م ص .
(٤) انظر ، آ ض : انظر انظر ، م .
(٦) أن الله سبحانه ، آ م : أنه ، ص .
(١٠—١١) أخبرونا ... الغاوين ، آ : — ، م ص .
(١١) وعن قوله ، آ : وقال ، م ص .
(١٥) فقال ، آ ص : فقل ، م .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

« هو التخييل » ، فقُل : « فما أكثر ما لقى منه المؤمنون وأطفالهم ! » وإن قالوا « هو الدعاء » فقل : « فهذا ما يدعو به المؤمن والكافر والخلق كلّهم حتى عرض للأنبياء فدعاهم والتمس فتنتهم فدعاهم كلّهم إلى المعصية » . وإن قالوا : « هو التضليل ولن يصل بذلك إلى عباد الله المؤمنين ، لأنّ الله عصمهم وهو الوكيل عليهم » فقد أجابوا ونقض ذلك قولهم .

٣٩

٥٥ ب ٤ الخ

أخبرونا هل يخصّ الله برحمته من يشاء من خلقه أم ليست له خاصّة وإنّما هو أمر عامّ فمن شاء أخذ ومن شاء ترك ؟ فإن قالوا ذلك فقد كذّبوا والله سبحانه يخبر بخلاف قولهم إذ يقول لنبيّه عليه السلام ﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وِزْرك﴾ [٩٤/١–٢] ، وقال أيضاً لمن أراد أن يخصّه بالهدى من خلقه ﴿فمن يُرِد الله أن يَهدِيَه يَشرَحْ صدره للإسلام ومَن يُرِد أن يُضِلّه يجعلْ صدرَه ضيّقاً حرَجاً كأنّما يَصّعّدُ فى السماء وكذلك يجعل الله الرِجْس على الذين لا يؤمنون﴾ [٦/١٢٥] ، وقال أيضاً ﴿أفمن شرح الله صدرَه للإسلام فهو على نور من ربّه فوَيلٌ للقاسيةِ قلوبُهم من ذكر الله أولائك فى ضلال مُبين﴾ [٣٩/٢٢] . فيقال : أخبِرونا عن الشرح ما هو ، أهو الهدى أم هو الدعاء ؟ فإن قالوا « هو الدعاء » زعموا أنّ كلّ كافر مشروح الصدر بالاسلام وأنّ الخلق كلّهم جميعاً قد شُرِحت صدورهم لأنّهم قد دُعوا كلُّهم ، وإن قالوا « هو الهدى يمنّ به على من يشاء » فقد أجابوا .

---

(١) ما لقى منه المؤمنون ، م ص : ما بقى من المؤمنين ، آ .
(٢) ما يدعو به : ما لا يدعو به ، آ م ص (= ما لا بدّ يدعو به ؟) .
(٣) فتنتهم ، غير معجمة فى المخطوطات .
(٤) ولن ، ص : لن ، آ : وان ، م .
(٥) ونقض ذلك قولهم ، م ص : وذلك نقض قولهم ، آ .
(١٢) أفمن ، آ : فمن ، م ص .
(١٤) فيقال ، آ : فقال ، م ص .
(١٦) جميعاً ، آ ص : جميعهم ، م .
(١٧) الهدى ، آ : الذى ، م ص .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

٤٠

٥٦ ب ٩ الخ

... المسألة عن قول الله فى التأييد وذلك قوله لعيسى بن مريم ﴿وآتينا عيسى ابنَ مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس﴾ [٢/٨٧] وقوله للمؤمنين ﴿فأيّدْنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين﴾ [٦١/١٤] فى آى كثيرة فخصّ الله به من يشاء من خلقه من الأنبياء والمؤمنين. ألا ترون أنّ الله عزّ وجلّ لم يَكِلْهم إلى ما زعمتم أنّه جعله فيهم من الاستطاعة وهى الحجّة، زعمتم، على جميع خلقه حتى جاءهم سوى ذلك من أمره فأيّدهم به فظهروا بتأييده ورعّب عدوّهم فغلبوا برعْبه ونَصَرهم فقَهروا بنصره. ثم قال فيما منّ به على المؤمنين ويعلِمهم ما صنع بهم ممّا لم يصنعه بغيرهم فقال ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ [٤٨/٤] وقال أيضاً ﴿فأنْزَلَ الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألْزَمَهم كلمةَ التقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلها﴾ [٤٨/٢٦] فلم يرضَ لهم ما زعمتم لما جعل من الاستطاعة حتى جاءهم من أمره وعونه سوى ذلك، وقوله لرسوله ﴿ولولا أن ثَبَّتْناك لقد كِدْتَ تركَن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذَقْناك ضِعْفَ الحياة وضِعْف الممات ثمّ لا تَجِدُ لك علينا نصيراً﴾ [١٧/٧٤–٧٥]، وقوله لأصحاب الكهف ﴿إنّهم فِتْيَةٌ آمنوا بربّهم وزِدْناهم هُدًى * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربّ السموات والأرض لن نَدْعُوَ من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾ [١٨/١٣–١٤] فلم يرضَ لهاؤلاء ما جعل فيهم من الاستطاعة التى زعمتم أنّها حجّة على خلقه وأنّه يحتجّ عليهم بها بما أخذوا أمره وركبوا معصيته حتى أتاهم من أمره ما بلغوا به ما شاء من رحمته وهداه. وكذلك هو يفعل ما يشاء سبحانه وبحَمْده، يضلّ من يشاء ﴿ولا يُسأل عمّا يفعل﴾ والخلق ﴿يُسألون﴾ [٢١/٢٣].

---

(٣) كثيرة، آ ص: كثير، م // فخص، م ص: يخص، آ.
(٤) به، آ: —، م ص.
(٧) عدوهم، م ص: عدوه، آ.
(١١) فلم يرض لهم ما زعمتم، م ص: فلم ترض لهم ما زعمت، آ.
(١٨) بها، م: —، آ ص // أخذوا، آ (بدون ألف الوقاية): حدوا، م ص.

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

وإن قالوا « أخبِرونا عن الأعمال أمخلوقة هى أم غير مخلوقة ؟ فانتم تزعمون أنّ الله خلقها » فإن قالوا « كيف نسبها الله إلى خلقه وجعلهم الذين عملوا ؟ » وتكلّموا فقولوا : « ألا ترون أنّ الله عزّ وجلّ قد قال ﴿واللهُ جعَل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ [١٦/ ٨٠] وقال ﴿وجعل لكم سرابيلَ تَقيكُمُ الحرَّ وسرابيل تقيكُمُ بأسَكم﴾ [١٦/ ٨١] وأنتم تعلمون أنّ الناس هم الذين غزلوا ونسجوا السرابيل وعملوا الدروع وبنوا البيوت واتّخذوا المظالّ وقد منّ علينا به وأخبرنا أنّه جعله وذلك أنّه ألهمنا بمنّته أن غزلنا وهو علّمنا ذلك ونسجنا وعلّمنا ما عملنا وأخبرنا أنّه قد جعله فكذلك خلق ما عملنا من طاعة أو معصية ونحن عملناهما جميعاً ، وكذلك قال أيضاً ﴿ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيّبةً كشجرةٍ طيّبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها فى السماء * توتى أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون﴾ [١٤/ ٢٤—٢٥] . ألا ترون أنّ الله سبحانه خلق الثمرة فى الشجرة وأخرجها منها ثمّ نسب الخروج منها إليها وقال ﴿توتى أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربّها﴾ ، وكذلك أعمال العباد خلقها ثمّ نسبها إليهم وأخبر أنّهم عملوها » .

فإن قالوا : « أخبرونا عن العباد أمجبورون على الأعمال من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية أم لا ؟ » فقل : « منهم من هو مجبور على ذلك ومنهم من هو غير مجبور . فأمّا الذين جُبروا على الطاعة فمنهم أهل مكّة افتتحها رسول الله صلّعم قسراً فأسلموا كرهاً ولو لم يسلموا قتلهم واستحلّ دماءهم وأموالهم فهذا وجه القسر والجبر . وأمّا الوجه الآخر فإنّ الله تبارك وتعالى قد قذف فى قلوبهم

---

(٣) فقولوا ألا ترون ، م ص : فقولون ، آ .
(٧) وذلك ، م ص : فذلك ، آ // بمنته ، م ص : بمنه ، آ // علمنا ، آ : عملنا ، م ص .
(٨) أو معصية ، م ص : ومعصية ، آ .
(١٢) الثمرة ، ص : التمرة ، م (غير معجمة فى آ) // ثم نسب ، آ : ونسب ، م ص .
(١٣) خلقها ، م ص : عملوها ، آ .
(١٤) وأخبر ، م ص : فأخبر ، آ .
(١٦) والطاعة ، آ : — ، م ص .
(١٩) القسر والجبر ، م ص : الجبر والقسر ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

الهدى ‹وحبّب إليهم الإيمان› وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ثم قال ﴿أولئك هم الراشدون﴾ [٤٩/٧] . وقد قال فى كتابه ﴿وله أسْلَمَ من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [٣/٨٣] » .

فإن قالوا : « فأخبرونا عن المشركين الذين لم يسلموا أجُبروا على الشرك ؟ » فيقال لهم : « إنّ المشركين لم يريدوا الإسلام فيُجْبَروا على الشرك ، ذلك أنّهم لو أرادوا الإيمان فأُكرهوا على الشرك ، كما اراد المشركون الشرك ورضوا به وأراد الله أن يهديهم فجَبَرَهم على الهدى وهم كارهون » . فإن قالوا : « فإن لم يكونوا مجبورين ولا مكرهين فهل يستطيعون ترك الشرك وقبول الهدى ؟ » فقل : « لا ، إلاّ أن يشاء الله ! » فإن قالوا : « فكيف لا يكونون مجبورين ولا يستطيعون أن يتركوا شركهم ؟ » فقل : « كذلك الله يفعل ما يشاء يهدى من يشاء ويُضِلّ من يشاء، فلا مضلّ لمن هدى ولا هادى لمن يضلّ » .

[تمّت مسائل الحسن بن محمد كلّها]

ملحق

٤١

٦٢ أ ٩ الخ

أخبرونا عن الاستطاعة التي تزعمون أنّ الله جلّ ثناءه جعلها فى عباده حجّةً عليهم وأنّها مركّبة فيهم ليعملوا أو يتركوا ، هل جعلها فى الملائكة المقرّبين أم لا ؟ فإن قالوا : « نعم ، قد جعلها فيهم وامتنّ بها عليهم » ، فقولوا لهم : « فأنتم إذاً لا

---

(١) وحبب إليهم الإيمان ، انظر النص فى الردّ للإمام الهادى : — ، آ م ص .
(٤) فأخبرونا ، آ : أخبرونا ، م ص // أجبروا على ، م ص : أخبرونا عن ، آ .
(٥) ذلك أنهم لو ، م ص : فكذلك لو أنهم .
(٧) فإن قالوا فإن ، ص : فإن قالوا ، آ : فإن قال فإن ، م .
(٨) ترك، م ص : — ، آ // لا ، م ص : — ، آ .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

تدرون عن الملائكة هل بلّغت أم لا ، وهل أدّت ما أُمرت بأدائه أم قصّرت فى شيء ممّا أُمرت به ، إذ تزعمون أنّها قادرة على ما تهوى تاركة لما تشاء ! » .

٦٢ ب ١٩ الخ

« ما يُدريكم إن كان الملائكة مستطيعين ولما يشاؤون من الأعمال متخيّرين وعلى العمل والترك قادرين ؟ لعلّهم قد تركوا بعض ما به أُمروا أو قصّروا فى أداء بعض الوحى وفرّطوا فى نصر النبيّ والمؤمنين وفى غير ذلك ممّا أمرهم به ربّ العالمين » .

٦٣ ب ٤ الخ

يُسأل من أثبت فى الخلق الاستطاعة فيقال لهم : « هل يثيب الله خلقه على ما عملوا من الطاعة ممّا لم يجعل لهم السبيل إلى تركه ، وهل يعاقبهم على ما عملوا به من معصيته ؟ »

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

رسالة عمر بن عبد العزيز
في الرد على القدرية

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الرموز

ح = حلب ، مكتبة الأوقاف ٩٩١
د = داماد ابراهيم باشا ٢٨٩
ر = راغب باشا ١٠٠٤
س = سراى ، أحمد ثالث ٢٩٠٦
ط = حلية الأولياء ، طبعة القاهرة ١٣٥٤/١٩٣٥
ف= فاتح ٤٣٣٣
ك = كوپرولو ٢٨٢/١
ن = نور عثمانية ٧٩٥

(راجع وصف المخطوطات ص 133)

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الرسالة

حدّثنا أبو حامد بن جبلة ، ثنا محمد بن إسحاق السرّاج ، ثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام ، ثنا محمد بن بكر البُرسانى ، ثنا سليم بن نُفَيع القرشىّ عن خلف أبى الفضل القرشى عن كتاب عمر بن عبد العزيز :

١ إلى النفر الذين كتبوا إلىّ بما لم يكن لهم بحقّ فى ردّ كتاب الله ، وتكذيبهم بأقداره النافذة فى عمله السابق الذى لا حدّ له إلاّ الله وليس لشىء مَخرج منه ، وطعْنِهم فى دين الله وسنّة رسوله القائمة فى أمّته :

٢ أمّا بعد ، فإنّكم كتبتم إلىّ بما كنتم تستترون فيه قبل اليوم فى ردّ علم الله والخروج منه إلى ما كان رسول الله صلّعم يتخوّفه على أمّته من التكذيب بالقدر . ٣ وقد علمتم أنّ أهل السنّة كانوا يقولون : « الاعتصام بالسنّة نجاة ، وسينقص العلم نقصاً سريعاً » ، وقول عمر بن الخطّاب وهو يعظ الناس : « إنّه لا عُذر لأحدٍ عند الله بعد البيّنة بضلالةٍ ركبها حَسِبَها هدًى ولا فى هدًى تركه حَسِبَه ضلالةً . قد تبيّنت الأمور وثبتت الحجّة وانقطع العذر » . فمن رغب عن أنباء النبوّة وما جاء به الكتاب تقطّعت من يديه أسباب الهدى ولم يجد له عصمةً ينجو بها من الردى .

---

(٣) سليم ، س ف ط : سليمان ، د ر ك ن .
(٤) أبى الفضل ، س ف ك ط : بن الفضل ، د ر ن .
(٦) الله ، د ر س ف ك ن : إليه ، ط // لشىء ، س ف ك ط : بشىء ، د ر ن .
(٧) وطعنهم ، د ر س ف ن ط : وظنهم ، ك .
(٨) تستترون ، ح د رس ف ك ن : تسترون ، ط // فيه ، د : منه ، ر س ف ك ن ط .
(٩) يتخوفه ، د ر س ف ك ن : يتخوف ، ط .
(١١) سينقص ... نقصا ... ، د ر س ف ن ط : سيقبض ... قبضاً ... ، ك (بعد التصحيح ، وكذلك أيضاً فى مجموعات الحديث ، انظر Conc. ٢٣٧/٥ أ) .
(١٤) أنباء ، س ف ك ن ط : إيتاء ، د ر .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

٤ وإنّكم ذكرتم أنّه بلغكم أنّى أقول إنّ الله قد علم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون ، فانكرتم ذلك علىّ وقلتم إنّه ليس يكون ذلك من الله فى علم حتى يكون ذلك من الخلق عملاً . ٥ فكيف ذاك كما قلتم ؟ والله يقول ﴿إنّا كاشِفو العذابِ قليلاً إنّكم عائدون﴾ [٤٤/١٥] يعنى العائدين فى الكفر . وقال ﴿ولو رُدّوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنّهم لكاذبون﴾ [٦/٢٨] .

٦ فزعمتم بجهلكم فى قول الله ﴿فمن شاء فليؤمنْ ومن شاء فليَكْفُرْ﴾ [١٨/٢٩] أنّ المشيئة فى أىّ ذلك أحببتم إليكم من ضلالة أو هدى . ٧ والله يقول ﴿وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين﴾ [٨١/٢٩] ، فبمشيئة الله لهم شاؤا ولو لم يشأ لم ينالوا بمشيئتهم من طاعته شيئاً ، قولاً ولا عملاً ، لأنّ الله لم يملِّك العباد ما بيده ولم يفوِّض إليهم ما يمنعه من رُسُله . فقد حرصت الرسل على هدى الناس جميعاً فما اهتدى منهم إلاّ من هداه الله ، ولقد حرص إبليس على ضلالتهم جميعاً فما ضلّ منهم إلاّ من كان فى علم الله ضالاً .

٨ وزعمتم بجهلكم أنّ علم الله ليس بالذى يضطرّ العباد إلى ما عملوا من معصيته ولا بالذى يصدّهم عما تركوا من طاعته ، ولكنّه بزعمكم كما علم أنّهم سيعملون بمعصيته كذلك علم أنّهم سيستطيعون تركها . ٩ فجعلتم علم الله لغوًا ، تقولون : لو شاء العبد لعمل بطاعة الله وإن كان فى علم الله أنّه غير عامل بها ، ولو شاء ترك معصيته وإن كان فى علم الله أنّه غير تارك لها . فانتم إذا شئتم أصبتموه وكان علماً ، وإذا شئتم رددتموه وكان جهلاً ، وإن شئتم أحدثتم

---

(٤) العائدين ، ك ط : العائدون ، ح د رف ن : العابدين ، س .
(٧) إليكم ، ف : فعلتم ، د ر س ك ن ط .
(٨) لهم ، س ف ك ط : — ، د ر ن .
(٩) ولا عملاً ، د ر ك ف ن ط : وعملاً ، س .
(١٠) بيده ، س ف ك ط : فى يده ، د ر ن .
(١٠) و (١١) حرصت ... حرص ، د ر س ك ن ط : حرضت ... حرض ، ف .
(١٤) يصدهم ، ف : صدهم ، د ر س ك ن ط // تركوا ، د ر س ك ف ن : تركوه ، ط // كما علم ، د ر س ك ف ن : كما علم الله ، ط .
(١٦) تقولون ، د ر س ف ن ط : يقولون ، ك .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

من أنفسكم علماً ليس فى علم الله وقطعتم به علم الله عنكم . وهذا ما كان ابن عباس يعدّه للتوحيد نقضاً وكان يقول : « إنّ الله لم يجعل فضله ورحمته هَمَلاً بغير قَسْم ولا احتظار ولم يبعث رُسُلَه بإبطال ما كان فى سابق علمه » . فأنتم ٣ تقرّون بالعلم فى أمر وتنقضونه فى آخر ، والله يقول ﴿ يَعْلم ما بين أيديهم وما خَلْفهم ولا يُحيطون بشىء من علمه إلاّ بما شاء﴾ [٢/٢٥٥] . فالخلق صائرون إلى علم الله ونازلون عليه ليس لهم دونه مُعصَّر (؟) ولا لهم عنه محيص ، وليس ٦ بين علم الله وبين شىء هو كائنٌ حجابٌ يحجبه عنه ولا يحول دونه ، إنّه عليم حكيم .

١٠ وقلتم : لو شاء لم يعذّب بعمل ، ١١ بغير ما أخبر الله فى كتابه ٩ عن قوم ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ [٢٣/٦٣] وأنّه سيمتّعهم ﴿قليلاً ثمّ يمسّهم منّا عذاب أليم﴾ [١١/٤٨] ، فأخبر أنّهم عاملون قبل أن يعملوا وأخبر أنّه معذّبهم قبل أن يُخلقوا . ١٢

١٢ وتقولون أنتم : إنّهم لو شاؤا خرجوا من علم الله فى عذابهم إلى ما لم يعلم من رحمته لهم . ١٣ ومن زعم ذلك فقد عادى كتاب الله بالردّ . ولقد سمّى

---

(٢) نقضا ، س ف ك ن ط : نقصاً ، د ر .
(٣) احتظار : اختصار ، د س ف ك ن : احتصار ، ح ر : اختيار ، ط // يبعث ، د ر س ك ن ط : يتعب ، ف .
(٤) تقرون بالعلم فى أمر ، ف : تفرون فى العلم بأمر ، د ر س ك ن ط .
(٦) معصر : مقصر ، المخطوطات كلها ، وانظر شرحنا ص 142 // محيص ، ح س ك : مختص ، د ر ف ن ط .
(٩) شاء لم ، د ر س ف ك : شاءكم ، ر ن : شاء الله لم ، ط // يعذب : يفرض ، د س ف ن ط : يقرض ، ك : بفرض ، ر (وانظر شرحنا ص 143) // بغير ، د ر س ك ن : يغير ، ف ط .
(١٠) وانه ، س ف ك : وآية ، ح : وانه قال ، د ط // سيمتعهم ، د س ط : سنمتعهم ، ح ف ك .
(١٢) انه ، ف ط : انى ، ح د ر س ك ن .
(١٣) عذابهم ، د ر س ف ك ن : عذابه ، ط .
(١٤) بالرد ، ف : برد ، د ر س ك ن ط .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الله رجالاً من الرسل بأسمائهم وأعمالهم فى سابق علمه فما استطاع آباؤهم لتلك الأسماء تغييراً وما استطاع إبليس بما سبق لهم فى علمه من الفضل تبديلاً ، فقال : ﴿واذكُرْ عبادَنا إبراهيمَ وإسحاق ويعقوب أُولى الأيدى والأبصار ، إنّا أخلصناهم بخالصةٍ ذِكرى الدار﴾ [٣٨/٤٥–٤٦] . فالله أعزُّ فى قدرته وأمنعُ من أن يملّك أحداً إبطال علمه فى شىء من ذلك — فهو المسمّى لهم بوحيه الذي ﴿لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه﴾ [٤١/٤٢] — أو أن يَشْرَك فى خلقه أحداً أو أن يُدخِل فى رحمته من قد أخرجه منها أو أن يُخرج منها من قد أدخله فيها . ولقد أعظم بالله الجهلَ مَن زعم أنّ العلم كان بعد الخلق ، بل لم يزل الله وحده بكلّ شىء عليماً وعلى كلّ شىء شهيداً قبل أن يخلق شيئاً ، وبعد ما خلق لم ينقص علمه فى بدئهم ولم يزد بعد أعمالهم ، ولا تغيَّر بالجوائح التى قطع بها دابر ظُلمهم ، ولم يملّك إبليسَ هدى نفسه ولا ضلالة غيره . وقد أردتم بقذف مقالتكم إبطال علم الله فى خلقه وإهمال عبادته ، وكتابُ الله قائم بنقض بدعتكم وإفراط قذفكم . ولقد علمتم أنّ الله بعث رسوله والناسُ يومئذٍ أهل شرك ، فمن أراد الله له الهدى لم تحُلْ ضلالتُه التى كان فيها دون إرادة الله له ، ومن لم يُرد الله له الهدى تركه فى الكفر ضالاً فكانت ضلالته أولى به من هداه .

---

(٤) أمنع ، د ر س ك ن ط : أمتع ، ف .
(٥) علمه ، س ف ك : عمله ، د ر ن ط // المسمى ، ف : مسمى ، ح ر س ك ن : يسمى ، د ط // بوحيه ، د ر س ك ن ط : فوحيه ، ف .
(٦) يشرك ، بفتح الياء والراء فى ك .
(٧) أو أن يدخل ، ف ك : ويدخل ، د ر س ن ط // قد أخرجه ، د ر ف ن : أخرجه ، س ك ط .
(٩) عليماً ... شهيداً ، د ر س ف ن ط : عليم ... شهيد ، ك .
(١٠) أعمالهم ، د ر س ك ن ط : عملهم ، ف // ولا تغير بالجوائح التى ، ف : ولا بجوائحه الذى ، س (وفوق « بجوائحه » : صح) : ولا بجوائجه الذى ، ر ك ن : ولا بجوائحه الذى ، د .
(١١) بقذف ، ر س ف ك ن ط : بفرق ، د .
(١٢) عبادته ، ك : عباده ، د ر س ف ن ط .
(١٤) تحل ، د س ف (مع التحريك) ن ط : يحل ، ر ك .
(١٥) به ، ف س : بها ، د ر ك ن ط .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

١٤ فزعمتم أنّ الله أثبت فى قلوبكم الطاعة والمعصية ، فعملتم بقدرتكم بطاعته وتركتم بقدرتكم معصيته ، وأنّ الله خلوٌ من أن يكون يختصّ أحداً برحمته أو يحجز أحداً عن معصيته . ١٥ وزعمتم أنّ الشىء الذى يقدّر إنّما هو عندكم اليُسر والرخاء والنعمة ، وأخرجتم منه الأعمال . ١٦ وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالةٌ أو هدًى وأنّكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله وأنّكم الذين حجزتموها عن المعصية بغير قوّة من الله ولا إذن منه .

١٧ فمن زعم ذلك فقد غلا فى القول لأنّه لو كان شىء لم يسبق فى علم الله وقدره لكان لله فى مُلكه شريك يُنْفِد مشيئته فى الخلق من دون الله والله يقول : ﴿حبّب إليكُمُ الإيمان وزيّنه فى قلوبكم﴾ [٤٩/٧] وهم له قبل ذلك كارهون ﴿وكرّه إليكُمُ الكفرَ والفسوق والعصيان﴾ وهم له قبل ذلك محبّون وما كانوا على شىء من ذلك لأنفسهم بقادرين . ثمّ أخبرنا بما سبق لمحمد صلّعم من الصلاة عليه والمغفرة له ولأصحابه فقال ﴿أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾ [٤٨/٢٩] وقال ﴿ليَغْفِرَ لك الله ما تقدّم من ذَنْبك وما تأخّر﴾ [٤٨/٢]، فكَرَماً غفرها الله له قبل أن يعملها . ثمّ أخبرنا بما هم عاملون قبل أن يعملوا وقال ﴿تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ [٤٨/٢٩] ، فضلاً سبق لهم من الله قبل أن يُخلقوا ورضواناً عنهم قبل أن يؤمنوا . ١٨ وتقولون أنتم إنّهم قد كانوا مُلّكوا رَدّ ما أخبر الله عنهم أنّهم عاملون وأن إليهم أن يقيموا

---

(١) أثبت ، د ر س ك ن ط : أنبت ، ف // بطاعته ، د ر س ك ن ط : طاعته ، ف .
(٢) خلو ، د ر س ك ن ط : خال ، ف .
(٣) يحجز ، ف ط : حجز ، د ر س ك ن // يقدر ، ح س ف ك : بقدر ، د ر ن ط .
(٤) اليسر ، ف ك : واليسر ، د ر س ن ط .
(١١) و (١٤) أخبرنا ، د ر س ن ط : أخبر ، ف ك .
(١٤) فكرما غفرها ، ف : فلو ما غفرها ، ح د ر س ك ن : فلو لا علمه غفرها ، ط // عاملون ، ف : عاملون آمنون ، د ر س ك ن ط .
(١٤–١٦) قبل أن يعملها ... قبل أن يؤمنوا : قبل أن يعملها وفضلاً سبق لهم من الله قبل أن يخلقوا ورضواناً عنهم قبل أن يؤمنوا ثم أخبرنا بما هم عاملون (آمنون) قبل أن يعملوا وقال ﴿تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ ، فى المخطوطات كلها (وانظر شرحنا ص 151) .
(١٧) إنّهم قد كانوا ملكوا ، د ر س ك ن ط : إنّهم قبل أن يؤمنوا قد كانوا ملكوا ، ف .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

على كفرهم مع قوله ، فيكون الذى أرادوا لأنفسهم من الكفر مفعولاً ولا يكون لوحى الله فيما اختار تصديقاً . ١٩ بل ﴿لله الحجّة البالغة﴾ [٦/١٤٩] و〈هى〉 فى قوله ﴿لو لا كتاب من الله سَبَقَ لَمَسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ [٨/٦٨] ، فسبق لهم العفو من الله فيما أخذوا قبل أن يؤذَن لهم .

٢٠ وقلتم : لو شاؤا خرجوا من علم الله فى عفوه عنهم إلى ما لم يعلم من تركهم لما أخذوا . ٢١ فمن زعم ذلك فقد غلا وكذب . ولقد ذكر بشرًا كثيرًا وهم يومئذٍ فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فقال ﴿وآخرين منهم لمّا يَلحقوا بهم﴾ [٢٦/٣] وقال ﴿والذين جاؤا من بَعْدهم يقولون رَبَّنا اغْفِر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ [٥٩/١٠] ، فسبقت لهم الرحمة من الله قبل أن يُخلقوا والدعاء لهم بالمغفرة ممّن لم يسبقهم بالإيمان من قبل أن يَدعوا .

٢٢ ولقد علم العالمون بالله أنّ الله لا يشاء أمرًا فيحوِّل مشيئتَه غيرُه دون بلاغ ما شاء . ولقد شاء لقومٍ الهدى فلم يُضِلّهم أحد ، وشاء إبليس لقومٍ الضلالة فاهتدوا . فقال لموسى وأخيه : ﴿اذهبا إلى فرعون إنّه طَغَى فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ [٢٠/٤٣–٤٤] ، وموسى فى سابق علمه أنّه يكون لفرعون عدوًّا وحَزَناً فقال ﴿ونُرِىَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يَحْذَرون﴾ [٢٨/٦] . ٢٣ فتقولون أنتم : لو شاء فرعون كان لموسى وليًّا وناصرًا ، والله يقول ﴿ليكونَ لهم عدوًّا وحَزَناً﴾ [٢٨/٨] . وقلتم : لو شاء فرعون لامتنع من الغرق ، والله يقول : ﴿إنّهم جُنْدٌ مُغْرَقون﴾ [٤٤/٢٤] . فثبت ذلك عنده فى وحيه فى ذكر الأوّلين ، كما قال فى سابق عمله لآدم قبل

---

(١) مع قوله ، س ط : مع قولهم ، د رف ك ن .
(٢) فيما اختار ، د ر س ك ن ط : فيما أخبر عنه واختاره ، ف // وهى فى قوله : وفى قوله ، المخطوطات كلها .
(٤) لهم ، د رف س ن ط : إليهم ، ك .
(١٠) يدعوا ، المخطوطات كلها : يدعوا لهم ، ط .
(١١) فيحول مشيئته غيره ، المخطوطات كلها : فتحول مشيئة غيره ، ط .
(١٣) لموسى وأخيه اذهبا ، ف : لموسى اذهب ، د ر س ك ن ط .
(١٤–١٥) انه يكون لفرعون ، ف ط : انه لفرعون ، د ر س ك ن .
(١٩) فثبت ، س : مُثبَت ، د رف ك ن ط // ذلك ، س ف ك : على ذلك ، د ر ن ط .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

أن يخلقه : ﴿إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفة﴾ [٢/٣٠] فصار إلى ذلك بالمعصية التي ابتُلِى بها ، وكما كان إبليس فى سابق علمه أنّه سيكون ﴿مذموماً مدحوراً﴾ [١٧/١٨] وصار إلى ذلك بما ابتُلى به من السجود لآدم فأبى . فتلقّى آدم بالتوبة فرُحم وتلقّى إبليس باللعنة فغوى ، ثمّ أُهبط آدم إلى ما خُلق له من الأرض مرحوماً متوباً عليه وأهبط إبليس بنَظِرته مذموماً مدحوراً مسخوطاً عليه .

٢٤ وقلتم أنتم : إنّ إبليس وأولياءه من الجنّ قد كانوا مُلّكوا ردّ علم الله والخروج من قَسَمه الذى أقسم به إذ قال : ﴿فالحقّ والحقّ أقول لأملأنّ جهنّمَ منك وممّن تَبِعك منهم أجمعين﴾ [٣٨/٨٤–٨٥] حتى لا ينفذ له علم إلاّ بعد مشيئتهم . ٢٥ فماذا تريدون بهلكة أنفسكم فى ردّ علم الله ؟ فإنّ الله جلّ وعلا لم يُشهِدكم خلق أنفسكم ، وكيف يحيط جهلكم بعلمه ؟ وعِلم الله ليس بمقصِّر عن شىء هو كائن ، ولا يسبق علمه فى شىء فيقدر أحد على ردّه . ولو كنتم تنتقلون فى كلّ ساعة من شىء إلى شىء هو كائن لكانت مواقعكم عنده . ولقد علمت الملائكة قبل خلق آدم ما هو كائن من العباد فى الأرض ‹من الفساد› وسفك الدماء فيها ، وما كان لهم فى الغيب من علم ، فكان فى علم الله الفساد وسفك الدماء ، وما قالوه تخرّصاً إلاّ بتعليم العليم الحكيم لهم فظَنّ ذلك منهم ، وأنطقهم به .

٢٦ فأنكرتم أنّ الله أزاغ قوماً قبل أن يزيغوا وأضلّ قوماً قبل أن يضلّوا .

٢٧ وهذا ممّا لا يشكّ فيه المؤمنون بالله : إنّ الله قد عرف قبل أن يخلق العباد مؤمنهم من كافرهم وبرّهم من فاجرهم . وكيف يستطيع عبد هو عند الله

(٣–٤) بالتوبة ... باللعنة ، المخطوطات كلها : التوبة ... اللعنة ، ط .
(٨) له علم ، د ر س ف ك ط : لهم علم ، ن .
(١١) فيقدر ، ف ط : فقدر ، د ر س ك ن .
(١٢) ولو ، س ف ك : لو ، د ر ن ط .
(١٤) من الفساد ، ط : — ، المخطوطات كلها // فكان ، س ك : وكان ، د ر ف ن ط .
(١٥) قالوه ، ف : قالوا ، د ر س ك ن ط // لهم ، ف ط : هو ، د ر س ك ن // فظن ذلك منهم ، د ر س ك ن ط : فظنهم ذلك ، ف .
(١٧) وأنطقهم ، المخطوطات كلها : وقد أنطقهم ، ط .
(١٩) وكيف ، ر س ف ك ن ط : وكيف لا ، د .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

مؤمن أن يكون كافرًا أو هو عند الله كافر أن يكون مؤمناً ؟ والله يقول : ﴿أوَمَن كان ميّتاً فأحييناه وجعلْنا له نورًا يمشي به في الناس كَمَن مَثَلُه في الظُّلُمات ليس بخارج منها﴾ [٦/١٢٢] . فهو في الضلالة ليس بخارج منها أبدًا إلاّ بإذن الله . ٢٨ ثمّ آخرون ﴿اتّخذوا﴾ من بعد الهدى ﴿عِجْلاً جسدًا﴾ [٧/١٤٨] فضلّوا به فعفا عنهم لعلّهم يشكرون ، فصاروا ﴿من قوم موسى أمّةً يهدون بالحقّ وبه يعدلون﴾ [٧/١٥٩] وصاروا إلى ما سبق لهم . ثمّ ضلّت ثمود بعد الهدى فلم يُعْفَ عنهم ولم يُرحموا فصاروا في علمه إلى ﴿صَيحة واحدة ، فإذا هم خادمون﴾ [٣٦/٢٩] ، فنَقَذوا إلى ما سبق لهم لأنّ صالحاً رسولهم وأنّ الناقة ﴿فتنة لهم﴾ [٥٤/٢٧] وأنّه مميتهم كُفّارًا ، فعقروها . ٢٩ وكان إبليس فيما كانت فيه الملائكة من التسبيح والعبادة فابتُلي فعصى فلم يُرحم ، وابتُلي آدم فعصى فرُحم . وهمّ آدم بالخطيئة فنسي ، وهمّ يوسف بالخطيئة فعُصم . فأين كانت الاستطاعة عند ذلك ؟ هل كانت تُغني شيئاً فيما كان من ذلك حتى لا يكون ، أو تُغني فيما لم يكن حتى يكون ، فنعرفَ لكم بذلك حجّةً ؟ بل الله أعزُّ ممّا تصفون وأقدر .

٣٠ وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالةٌ أو هدًى ، وإنّما علمه بزعمكم حافظ وإنّ المشيئة في الأعمال إليكم ، إنْ شئتم أحببتم الإيمان فكنتم من أهل الجنّة . ثمّ جعلتم بجهلكم حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي جاء به أهل السنّة — وهو مصدّق للكتاب المنزّل — أنّه عن ذنبٍ مُضاهٍ ذنباً خبيثاً ، في

(٥–٦) من قوم موسى أمة ، ف : من امة قوم موسى ، د ر س ك ن ط .
(٨) لأنّ ، كذا في المخطوطات كلها ، ولعله « أن » .
(١٠) فابتلي فعصى فلم ، ف ن : ابتلي فلم ، د ر س ك ط .
(١٢) و (١٣) تغني ، د ف ك ط : تغنى ، س .
(١٣) فنعرف ، د ر س : فتعرف ، ف ك ط .
(١٥) وأنكرتم ، د ر س ك ن ط : ثم أنكرتم ، ف .
(١٦) حافظ ، ف ط : حافظا ، د ر س ك ن .
(١٨) للكتاب ، ف ك ط : الكتاب ، د ر س ن // عن ذنب : من ذنب ، المخطوطات كلها (وانظر شرحنا ص 162) .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

قول النبيّ صلّعم حين سأله عمر : « أرأيتَ ما نعمل أشيءٌ قد فُرِغ منه أم شيء نأتنفه ؟ » فقال عمّ : « بل شيء قد فُرِغ منه ! » فطعنتم بالتكذيب له ونفرتم (؟) من الله فى علمه إذ قلتم : إن كنّا لا نستطيع الخروج منه فهو الجبر . والجبر عندكم الحيف . ٣١ فسمّيتم نفاذ علم الله فى الخلق حيفاً .

٣٢ وقد جاء الخبر أنّ الله خلق آدم فنثر ذريّته فى يده فكتب أهل الجنّة وما هم عاملون ، وكتب أهل النار وما هم عاملون . وقال سهل بن حُنيف يوم صفّين : « أيّها الناس ، اتّهموا رأيكم على دينكم ! فوالذى نفسى بيده ، لقد رأيتنا يوم أبى جندل ولو نستطيع ردّ أمر رسول الله صلّعم لرددناه . واللهِ ما وضعْنا سيوفنا على عواتقنا إلاّ أسهلت بنا على أمر نعرفه قبل أمركم هذا » .

٣٣ ثم أنتم بجهلكم قد أظهرتم دعوة حق على تأويل باطل تدْعون الناس إلى ردّ علم الله فقلتم : « الحسنة من الله والسيّئة من أنفسنا » وقال أئمّتكم وهم أهل السنّة : « الحسنة من الله فى قدر قد سبق والسيّئة من أنفسنا فى علم قد سبق » . ٣٤ فقلتم : لا يكون ذلك حتّى يكون بدؤها من أنفسنا كما بدء السيّئة من أنفسنا . ٣٥ وهذا ردّ الكتاب منكم ونقض الدين ، وقد قال ابن عبّاس رضى الله عنه حين نجم القول فى القدر : « هذا أوّل شرك هذه الأمّة . واللهِ ، ما ينتهي بهم سوء رأيهم حتّى يُخرجوا اللهَ من أن يكون قدّر خيرًا كما أخرجوه من أن يكون قدّر شرًّا » .

٣٦ أنتم تزعمون بجهلكم أنّ من كان فى علم الله ضالاً فاهتدى فهو بما مَلَكَ

---

(٢) نفرتم : تعليم ، المخطوطات كلها (وانظر شرحنا ص 163) .
(٣) فى علمه ، د رف ك ن : من علمه ، س .
(٩) أسهلت ، ف : أسهل ، د رس ك ن ط : أسهلن ، فى مجموعات الحديث (انظر Conc. ٣/٥ ب) // قبل ، د ر س ك ن : ما خلا ، ف .
(١٢) قدر ، د س : علم ، رف ك ط : قلم ، ن .
(١٣) السيئة ، د ر ك ن : السيئات ، س ف ط .
(١٦) من أن ، س ف ك ط : أن ، د ر ن .
(١٧) شرًّا ، س ف ك ط : شرهم ، د ر ن .
(١٨) بما ، س ف ك ط : ما ، د ر ن .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

ذلك حتى كان فى هداه ما لم يكن الله علمه فيه ، وأنّ من شُرح صدرُه للإسلام فهو ممّا فُوّض إليه قبل أن يشرحه الله له ، وأنّه إن كان مؤمناً فكفر فهو ممّا شاء لنفسه ومَلَكَ من ذلك لها . وكانت مشيئته فى كفره أنفذ من مشيئة الله فى إيمانه . ٣٧ بل أشهد أنّه مَن عمل حسنةً فبغير معونة كانت من نفسه عليها ، وأنّ من عمل سيّئةً فبغير حجّة كانت له فيها وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأن الله لو أراد أن يهدى الناس جميعاً لنفذ أمرُه فيمن ضلّ حتى يكون مهتدياً .

٣٨ فقلتم : بمشيئته شاء لكم تفويض الحسنة إليكم وتفويضَ السيّئة ، ألقى عنكم سابقَ علمه فى أعمالكم وجعل مشيئته تبعاً لمشيئتكم . ٣٩ ويحكم ! فوالله ، ما أمضى لبنى إسرائيل مشيئتهم حين أبوا أن يأخذوا ما آتاهم بقوةٍ حتّى نتق ﴿الجبلَ فوقهم كأنّه ظُلّة﴾ [٧/١٧١] . فهل رأيتموه أمضى مشيئته لمن كان قبلكم فى ضلالته حين أراد هداه حتّى صار إلى أن أدخله بالسيف فى الإسلام كرهاً بموقع علمه بذلك فيه ؟ أم هل أمضى لقوم يونس مشيئتهم حين أبوا أن يؤمنوا حتى أظلّهم العذاب فآمنوا وقبل منهم ، وردّ على غيرهم الإيمان فلم يقبل منهم . وقال ﴿فلمّا رأوا بَأسَنا قالوا آمنّا بالله وحْدَه وكفَرْنا بما كنّا به مُشْركين ، فلم يَكُ ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسَنا سُنّةَ الله التى قد خلَتْ فى عباده﴾ [٤٠/٨٤—٨٥] ، أىْ علم الله الذى قد خلا فى خلقه ﴿وخَسِرَ هنالك الكافرون﴾ [٤٠/٨٥] وذلك كان موقعهم عنده أن يهلكوا بغير قبول منهم بل الهدى والضلالة

---

(١) هداه ، س ف ك ط : هذه ، د ر ن .
(٣) أنفذ ، د ر س ك ن ط : أبعد ، ف // مشيئة الله ، س ف ك ط : مشيئته ، د ر ن .
(٤) أنه من ، د ر س ف ن ط : من ، ك .
(٥) وأن من ، د رس ف ن ط : وأن ، ك .
(٦) وان الله لو أراد ، ف : وان لو اراد الله ، د ر س ك ن ط .
(٨) سابق علمه ، د ر س ك ن ط : فى سابق علمه ، ف .
(١٠) ظلة ، ر س ف ك ن ط : ضلة ، د .
(١١) قبلكم ، ف : — ، د ر س ك ن ط // حين أراد هداه حتى صار ، د ر س ك ن ط : حين أراد حتى أراد هداه وصار ، ف // فى الإسلام ، ف : إلى الإسلام ، د ر س ك ن ط .
(١٣) حتى أظلهم ، د ر س ك ن ط : حين أظلهم ، ف .
(١٧) موقعهم ، ف : مواقعهم ، د ر س ك ن ط .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

والكفر والإيمان والخير والشرّ بيد الله يهدى من يشاء ويذر من يشاء ﴿فى طغيانهم يعمهون﴾ [٧/١٨٦] . كذلك قال إبراهيم عمّ : ﴿ربِّ ... واجنُبْنى وبَنِىَّ أن نعبُدَ الأصنام﴾ [١٤/٣٥] ، وقال : ﴿رَبَّنا واجعَلْنا مسلمَين لك ومن ذريّتنا أمّةً مُسْلِمةً لك﴾ [٢/١٢٨] ، أىْ أنّ الإيمان والإسلام بيدك وأنّ عبادة مَن عبد الأصنام بيدك . فأنكرتم ذلك وجعلتموه مُلكاً بأيديكم دون مشيئة الله عزّ وجلّ .

٤٠ وقلتم فى القتل إنّه بغير أجَل . ٤١ وقد سمّاه الله لكم فى كتابه فقال ليحيى : ﴿وسلامٌ عليه يومَ وُلِدَ ويومَ يموت ويومَ يُبْعَثُ حيّاً﴾ [١٩/١٥] ، فلم يمت يحيى إلاّ بالقتل ، وهو موت كما مات من قُتل شهيداً أو قتله عمداً أو قتل خطأً كمن مات بمرض أو بفجأة ، كلّ ذلك موت بأجلٍ استوفاه ورزق استكمله وأثر بلغه ومضجع برز إليه ، ليس ﴿لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجّلاً﴾ [٣/١٤٥] ولا تموت نفس ولها فى الدنيا عُمر ساعة إلاّ بلغته ولا موضع قدم إلاّ وطئته ولا مثقال حبّة من رزق إلاّ استكملته ولا مضجع حيث كان إلاّ برزت إليه . يصدّق ذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿قُلْ للّذين كفروا ستُغْلَبون وتُحْشَرون إلى جهنّم﴾ [٣/١٢] ، فأخبر الله بعذابهم بالقتل فى الدنيا و ‹ فى › الآخرة بالنار وهم أحياء بمكّة . ٤٢ وتقولون أنتم : إنّهم قد كانوا ملكوا ردّ علم الله فى العذابَين اللذَين أخبر الله ورسوله أنّهما نازلان بهم . ٤٣ فقال : ﴿ثانى عِطْفِه ليُضِلّ عن سبيل الله له فى الدنيا خِزْىٌ﴾ [٢٢/٩]

---

(٩) من قتل ، د ر س ف ن ط : من قتل منهم ، ك .
(١٠) أو قتل ، ف ك : وقتل ، د ر س ن ط // كمن ، د ر س ك ن ط : فهو كمن ، ف .
(١١) استوفاه ، ف : توفاه ، د ر س ك ن ط // رزق ... أثر ... مضجع ، ف : رزقا ... أثرًا ... مضجعاً ، د ر س ك ن ط .
(١٣) حبة من رزق ، د ر ف ك ن ط : حبة من خردل من رزق ، س // استكملته ، س ف ك ط : استكمله ، د ر ن // مضجع ، د ر ف ك ن ط : مضجعاً ، س .
(١٤) حيث ، ف : بحيث ، د ر س ك ن ط // برزت ، ف ط : برز ، د ر س ك ن .
(١٥) فأخبر ، س ف ك : وأخبر ، د ر ن ط .
(١٦) إنهم قد ، ف ك : قد ، د ر س ن ط .
(١٧) أخبر ، س ف ط : خبر ، د ر ك ن .

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt

يعنى القتل يوم بدر ﴿ونُذيقُه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ [٢٢/٩] . فانظروا إلى ما أرداكم فيه رأيكم كتاباً سبق فى علمه بشقائكم إن لم يرحمكم .

٤٤ ثمّ قول رسول الله صلّعم : « بُنِيَ الإسلام على ثلاثة أعمال : الجهاد ماضٍ منذ يوم بعث الله رسوله إلى يوم تقوم فيه عصابة من المؤمنين يقاتلون الدجّال لا ينقض ذلك جورُ جائر ولا عدلُ عادل ، والثانية : أهل التوحيد لا تكفّروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك ولا تخرجوهم من الإسلام بعمل ، والثالثة : المقادير كلّها خيرها وشرّها من قدر الله » . فنقضتم من الإسلام جهاده وجردتم شهادتكم على أُمّتكم بالكفر وبرئتم منهم ببدعتكم وكذّبتم بالمقادير كلّها والآجال والأعمال والأرزاق ، فما بقيت فى أيديكم خصلة بُنى الإسلام عليها إلاّ نقضتموها وخرجتم منها .

---

(٢) أرداكم ، ك ن (أرديكم) ط : أراد بكم ، د ر س : أداكم ، ف // كتابا : وكتاباً ، د ر س ك ن ط : وكتاب ، ف .

(٥) ينقض ، د ر ك ن ط : ينقص ، س ف // جور جائر ، د ر س ك ن ط : جور من جار ، ف // وعدل عادل ، د س ك ط : عدل من عدل ، رف ن .

(٦) بذنب ، ف : — ، د ر س ك ن ط // ولا تخرجوهم ... بعمل ، ف : — ، د ر س ك ن ط .

(٧) جردتم ، ف : نقضتم ، د ر س ك ن ط .

(٨) أمتكم ، د ر س ك ن ط : أئمتكم ، ف .

(٩) بنى ، المخطوطات كلها : ينبنى ، ط .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الخلاصة

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أقسام مستقلة ، تحتوي على نصوص ومواقف لشخصيات إسلامية بارزة ، في فجر الاسلام ، يتعلق جميعها بمشكلة القدر .

اما القسم الاول ، فانه يعالج نص رسالة في الرد على القدرية منسوبة الى الحسن بن محمد بن الحنفية ، حفيد الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب . ويظهر ان هذه الرسالة كتبت بإيحاء من الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (—٨٦) وان تاريخ تأليفها يرجع الى سنة ٧٣ هـ . فإذا صحّ هذا التاريخ ، فانها تكون أقدم بعدّة سنوات من الرسالة المبكرة الأخرى التي تعنى بالقدر ، والتي كتبها الحسن البصري (— ١١٠) الى الخليفة الاموي نفسه ؛ وهي تعد — مع كتاب الإرجاء للحسن بن محمد بن الحنفية ذاته[1] — من أقدم ما وصلنا من الوثائق عن بدايات علم الكلام في الاسلام .

وتمتاز رسالة الحسن بن محمد في الرد على القدرية على رسالة الحسن البصري في الموضوع نفسه وكتاب الإرجاء المذكور آنفاً ، بأنها تنتهج منهجاً جدلياً خالصاً ، قاعدته الاساسية مجادلة مفترضة بين من يقولون بالقدر (ويمثلهم المؤلف) وبين من ينكرونه (من خصوم المؤلف) ، وقالبه الفكري إبطال المقدمات بإبطال النتائج ، ومنحاه الاسلوبي الجمل الشرطية (« إن قال ... قلنا ») — وكل هذا مما سوف يكوّن الملامح المميّزة للكتابات في علم الكلام من بعد ؛ اذ سوف يتبين أن ليس كل بحث في كل قضية دينية مما يدخل في علم الكلام ، بل أن علم الكلام يتطلب طريقة معينة في معالجة القضايا الدينية : معالجة يكون وجود الخصم

---

(١) نشرت هذا الكتاب في مجلة *Arabica* (ج ٢١ (١٩٧٤) ص ٢٠ وما يليها) .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

فيها ضرورياً ؛ وحتى الآن لم يكن متوفراً لدينا من النماذج المبكرة سوى عدد قليل كله يرتبط بالمعتزلة دون غيرهم من المتكلمين .

وقد قمت في هذا القسم بترجمة النص العربي الى الالمانية ، وشرحته ، وفي شرحي ذاك ، فندت الحجج الواردة هنالك ، وقارنت الآراء التي جاءت فيه بآراء المعاصرين للمؤلف ؛ وقبل كل شيء حاولت ان أتحقق من موثوقية هذه الرسالة وصحة نسبتها الى المؤلف . وقد قمت في المقدمة بإعطاء نبذة ملخصة عن حياة المؤلف ، وبكتابة مادة جديدة عن نشأة النثر العربي ؛ فإذا شاء الدارس أن يطّلع على نتائج بحثي هذا بإيجاز فانه يستطيع ان يرجع الى مقالي عن نشأة علم الكلام عند المسلمين في كتاب J. E. Murdoch and E. D. Sylla, *The Cultural Context of Medieval Learning* (Dordrecht, 1975), pp. 87 ff. وعنوانه « The Beginnings of Islamic Theology » .

اما القسم الثاني ، فإنه يعالج رسالة كتبها الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (— ١٠١) إلى بعض القدرية المجهولي الهوية ، ومن حاولت في مقدمتي أن أحدّد شخصياتهم . وقد أورد أبو نعيم الاصفهاني نص هذه الرسالة في كتابه حلية الاولياء ، وقمت هنا بترجمته إلى الالمانية بعد تحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً كان في أشدّ الحاجة إليه ، ثم شرحته ؛ ونظراً لان هذا النص قد كتب بعد مضي ربع قرن على كتابة النص السابق ، فقد لجأت في الشرح الى معالجة التطوّر الذي مرت به الحجج الدينية المتعلقة بمشكلة القدر بين سنة ٧٣ والزمن الذي كتب فيه عمر بن عبد العزيز رسالته . وقد تبين لنا من خلال هذا أن مذهب القدر الذي كان عليه خصوم عمر بن عبد العزيز كان أشدّ تطرّفاً من المذهب الذي كان عليه خصوم الحسن بن محمد ، إذ كانوا ينكرون علم الله السابق ضرورة لاجل أن ينتهوا بنفي القدر . وقد حاول عمر أن يواجه دعوى هؤلاء بالبرهنة على أن علم الله السابق مشار إليه في القرآن ، ومن ثم خرج إلى القول بالقدر . وقد تناولت هذا الموضوع سلفاً وبمزيد من التفصيل في مقالي « ‘Umar II and his Epistle against the Qadarīya » والمنشور في مجلة *Abr Nahrain* (ج ١٢ (١٩٧١) ص ١٩ وما يليها) .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

اما القسم الثالث من هذا الكتاب فانه في حقيقة الامر استطراد الى تبيان بعض القضايا المتعلقة بشخصية من شخصيات القدرية المبكرين ، وهو غيلان الدمشقي ، وخاصة منهـــا تلك القضايا المتعلقة بحياته وإعدامه في زمن خلافة هشام بن عبد الملك (— ١٢٥) . وتدل معظم الروايات على أنّهـــا أقاصيص موضوعة ، اختلقها رواتها ليبرهنوا على أنّ غيلان كان خارجاً عن الجماعة وأن حججه كانت غير مقنعة ، وأن السلطة السياسية كانت على حق عندما أعدمته . وهذا كله مما يجعل استخلاص ما حدث على وجه الدقة أمراً صعباً ، على انني حاولت توضيح الأمر بمعلومات استقيتها من كتاب أنساب الأشراف للبلاذري بالاضافة إلى بعض المصادر الاخرى .

هذا وكنت قد عالجت المشكلة باختصار في محاضرة بعنوان « القدرية في سورية » وسوف تصدر في كتاب أعمال مؤتمر بلاد الشام (عمان ، ابريل ١٩٧٤) كما كنت قد تناولت حركة القدرية بإيجاز في مادة al-Ḳadariyya في الطبعة الجديدة من الموسوعة الاسلامية .

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

نصوص ودراسات

سلسلة يصدرها
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

١٤

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt